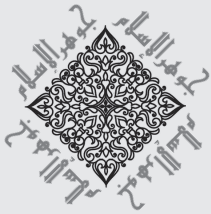

جوهر الإسلام

العدد 4/3 ـ السنة 23
ذو الحجة 1445 هـ / جوان 2024 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1445 هـ/ 2024 م

المحتوى

الافتتاحية : 6

رئيس التحرير 6

تحديات تواجه الأمة تستوجب من أهل الذكر أن يستعدوا لها لإيجاد الحلول عن طريق الاجتهاد 6

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

تفسير آيات من القرآن الكريم 8

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الاجتهاد ماضيه وحاضره القسم الثاني 11

بقلم فضيلة الشيخ الفاضل ابن عاشور ـ رحمه الله ـ

الجسور الموصلة أو المعينة على الوصول للوحدة المنشودة والتعايش المرغوب.... 26

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّة

زيارة الأعلام من الغربيّين إلى بيت الله الحرام ونبيِّ الإسلام عليه السلام..... 32

بقلم: الاستاذ صالح العَوْد

لم تكن الإنسانية في عصر من عصورها بحاجة إلى هدي القرآن بمثل ما هي عليه اليوم..... 34

بقلم فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر

من أدوات النظر الاجتهادي المنشود : المطلب الخامس: الاداة الخامسة: معرفة علم الخلاف 38

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

في رياض السنة : الحديث التاسع والعشرون طـــريق الجنة 43

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

مَحمد ابن عبّاد الرندي النفزي ثم الفاسي الـمعروف بشارح الحكم (733-792) الرسالة السابعة من الرسائل الصغرى رسالة في التصوّف 50

بعناية: الأستـاذ عبد الهادي شركاب

قراءة في كتاب نولدكه عن «تاريخ القرآن» (القسم الأول) 52
بقلم الدكتور محمد المختار ولد اباه
من سيرة الدكتور شعلال محمود عمر رحمه اللهّ 59
بقلم : الدكتور قدور إبراهيم عماد المهاجي
إقامة الدين هو الأساس المشترك بين جميع الأنبياء عليهم السلام 65
بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان
العلّامة الهُمام الفقيه محمد أبو زهرة (1316 ـ 1400هـ = 1898 ـ 1979م)... 67
بقلم: الأستاذ صالح العَوْد
في الحاجة إلى الدين 69
بقلم الدكتور محمد البشاري
مفاهيم إسلامية : من آفات اللسان: الثرثرة وعدم كتمان السرّ 71
بقلم الشيخ المجيب المستاوي رحمه الله
شعب اللهّ المُختار... وشعب اللهّ المُحتار!!..... 73
بقلم الاستاذ ابراهيم الربو
خطبة الجمعة : فليتدبر حجيج بيت اللهّ الحرام أي رحلة يقومون بها 76
يسألونك قل : من يُرد به الله خيرا يفقهه في الدّين 80
بقلم فضيلة الشيخ المجيب النفطي رحمه الله
تقرير صحفي : ندْوة الدفاع عن القرآن الكريم ومنْع كتابته بحروف غير عربيّة 84
حفل إحياء السنة والسّيرة النبوية في تُركيا..... 85
«مقاصد الشريعة: الإطار الناظم للاقتصاد الإسلامي : ندوة البركة للاقتصاد
الإسلامي في دورتها 44 **بقلم الأستاذ محمد إلياس المحرزي**
الاجتهاد المقاصدي وأثره في نوازل الأقليات المسلمة..... 89
د. جواد مكين
متابعات وقراءات وأصداء 94
المعذبون في الأرض 97
بقلم صالح الحاجة

الافتتاحية :

تحديات تواجه الأمة تستوجب من أهل الذكر أن يستعدوا لها لإيجاد الحلول عن طريق الاجتهاد

تمر الأمة الإسلامية منذ بداية الالفية الثالثة والتي تشرف على نهاية الربع الأول للمئوية الأولى منها (2024) بمرحلة من ادق مراحل تاريخها الطويل وهي مرحلة مليئة بالتحديات فقد اصبح فيها العالم قرية او قل ان شئت حيا من أحياء احدى مدن العالم الكبرى.

وبقدر ما نسلم بان الإنسانية شهدت في العقود الأخيرة قفزة نوعية قياسية في مجالات العلوم على مختلف اختصاصاتها والتي انعكست إيجابيا على كل مجالات حياة الإنسان حيث قربت له المسافات بمختلف وسائل النقل برا وبحرا وجوا ومكنته من التغلب على الكثير من الامراض الفتاكة التي كانت تذهب ضحية لها الملايين من الانفس البشرية التي ظلت لقرون طويلة عاجزة على تقديم الادوية للوقاية وللعلاج اللازمين للحفاظ على الحياة، تلك حقيقة لا ينكرها عاقل الا ان ذلك لا يجعلنا ننكر ان هذا التقدم العلمي قد صاحبته مخاطر بسبب ذلك التسابق في مجال التصنيع الحربي الذي بلغ أقصاه في الحربين العالميتين الأولى والثانية وتفجير القنبلة النووية في هيروشيما سنة 1945 ومنذ ذلك التاريخ لم تهدا نيران الحروب في شتى أنحاء المعمورة وكلها حروب ظالمة شنها المستعمرون على شعوب ضعيفة لا ذنب لها الا تمسكها بحقها في الحفاظ على انفسها ان تزهق ظلما وعدوانا واوطانها ان تغتصب وتحتل وخاضت في سبيل ذلك معارك كانت مكرهة عليها وشاءت الاقدار لهذه الشعوب ان تسترد استقلالها ولكن الاطماع الاستعمارية لم تشأ ان تتوقف مستعملة كل ما لديها من أسلحة فتاكة ومدمرة وما تعيشه غزة الجريحة وكل ارض فلسطين المباركة منذ السابع من أكتوبر خير دليل على ما نقول وقد ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الشهداء وهي حرب لم تفرق بين المقاوم بما لديه من سلاح لا يقارن مع الأسلحة الجهنمية التي تمارس بها إسرائيل عدوانها مدعومة من طرف الدول الكبرى غير مستثنية في عدوانها الأطفال الرضع و الصغار والمرضى في المستشفيات والنساء والشيوخ من كبار السن على مراى ومسمع من الجميع بما في ذلك الاشقاء الذين تفرض عليهم الاخوة واجب النصرة فضلا عن واجب فك حصار التجويع والقتل البطيء.

ان تحديات الحروب المدمرة تواجه الامة و تواجه الإنسانية جمعاء لا ن حروب اليوم ليست حروب الأزمنة الماضية انها حروب لا تبقي ولا تذر وهي اذا نشبت هذه المرة فستكون كونية مؤذنة بالخراب الشامل الذي سيأتي على كل شيء و ذلك ما لا يزال يحذر من مخاطره وأهواله العقلاء من المفكرين والقادة الروحيين ويضمنونه في بيانات ومواثيق يصدرونها لم تتخذ لها ويا للاسف آليات التنفيذ الملزمة للجميع.

ويضاف اليوم تحدّ آخر لا يقل خطورة عن تحدي الحروب انه تحدي العالم الافتراضي الذي فرض نفسه على الجميع والذين بمثل ما استفادوا من ايجابياته التي اختصرت لهم الوقت الطويل الذي كان يتطلبه الحصول على المعلومة فإذا بها تأتي بأسرع من البرق غزيرة ثرية ومتنوعة فيها الغث وغير المفيد بل المدمر المخرب لكل القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية ولا سبيل إلى استبعاده مهما كانت الوسائل المستعملة للحد من مخاطره وهذا ما دفع العديد من الدول وبالخصوص الأكثر تقدما في هذا الميدان من ميادين العلم إلى تكوين لجان من كبار العلماء لوضع ضوابط قانونية تحد من مخاطر العالم الافتراضي بكل وسائله ومجالاته وآلياته لأنه عالم لا يعترف بالقيم والمثل ويوشك أن يصبح الأمر الناهي المتحكم في مصير الإنسان وحدث عن افتكاك العالم الافتراضي للأحداث ولا حرج قد افتك من الأسرة والمدرسة والهيئة الاجتماعية أدوارها واصبح الأطفال وهم في غرفهم يبحرون في عوالم فيها كل شيء من شذوذ وإجرام وإرهاب وغير ذلك يتلقاها الصغار بدون قدرة على التمييز بينها ويقال ان الذكاء الصناعي يوشك ان يحل محل الأستاذ والطبيب وعقل المتعامل معه فيجعله رهينة يؤمر فيطاع ويعطل ما وهبه الله من طاقات وقدرات .

ان كل هذه المخاطر والتحديات التي تواجه الجميع وتواجه المجتمع الإسلامي بكل فئاته أينما كان أفراده في ديار الإسلام أو بعيدا عنها هناك حيث يعيش الملايين من المسلمين مفتقرين إلى ابسط وسائل الإحاطة والتوجيه للمحافظة على هويتهم وبالخصوص الأجيال الجديدة التي لا تجد اسرها لا الوقت و لا الإمكانات الضرورية للقيام بذلك.

في هذا العدد(3/ 4 س23) والعدد الذي قبله من مجلة جوهر الإسلام بحوث سنمضي في نشرها في الأعداد القادمة لأعلام كبار تناولت بالدرس أهمية مواكبة المستجدات ومواجهة التحديات التي تعيشها الأمة في هذا الزمان تبين الحاجة إلى الاجتهاد بضبط آلياته باعتباره الكفيل بتجسيم مقولة صلاحية الإسلام لكل الأزمان والأماكن باعتبار الإسلام هو الدين الذي أكمله الله لعباده وأتم به عليهم النعمة. والله الموفق لما فيه رضاه.

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

قال الله تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم (سورة البقرة ـ الآية 30)

ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان والأكوان أنّه أراد أن يتعرض إلى اصل خلق الإنسان والى ذلك الجدل البريء الذي وقع بين الخالق وملائكته الاطهار فقال جل من قائل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إن كلمة اذ تأتي غالبا سواء أجعلناها حرف توقيت أم جعلناها ظرفا للدلالة على حدوث الفعل في الماضي بعكس إذا وقد تستعمل هذه فيما تستعمل فيه الأخرى والعكس بالعكس، والملائكة هم عباد الله المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولذلك يكون استفهامهم لخالقهم بعد ان اعلمهم باتخاذ الخليفة وخلق آدم استفهاما منشؤه سبق إعلامهم من الله بان من ذرية آدم من سيصلح فيكون نبيا أو رسولا أو صديقا وصالحا ومن أبناء آدم من سيجحد ويكفر ويفسق ويفسد في الأرض ويسفك الدماء ويقطع الأرحام، ويمكن أيضا أن يكون منشأ استفهامهم ومبعثه القياس على ما سبق من إفساد الجن في الأرض قبل الخلق البشري أو من أفعال من سبق الجن أيضا ممن يعلمهم الله وملائكته وما لا نعلم عنهم شيئا، وليس في تساؤل الملائكة

أي شيء من الاعتراض الذي يستحيل منهم لخالقهم الذي اصطفاهم وطهرهم والجعل من قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أريد به الخلق وليس هو من أفعال التصيير والتحويل التي تطلب مفعولين ولذلك تسلط على مفعول واحد واكتفى به وهو خليفة والمراد بالخليفة على ما رواه ابن مسعود وابن عباس وغيرهما هو آدم عليه السلام وخلافته لله إنمّا هي في إمضاء أحكامه وأمره لأنه أوّل رسول أرسله الله ورسالته كانت لأبنائه الذين بلغ عددهم الأربعين في عشرين بطنا فضلا عما تناسل منهم من بنين وحفدة إذ كنا قد علمنا أنّ آدم عليه السلام عاش بين التسعمائة والألف سنة على القولين المشهورين الذين يقول أولهما انه عاش تسعمائة وثلاثين سنة ويقول ثانيهما انه عاش ألف سنة، وقيل إن الخلافة التي عنتها الآية هي خلافة التعويض لمن سبق آدم وذريته في عمارة الأرض من الملائكة والجن ومن يعلم الله من خلائقه الأخرى وعلى هذا القول يصبح المراد بالخليفة لا خصوص آدم بل عموم ذريته من كل الأجناس والأديان في عموم الأزمنة والمراد بالأرض مكة المكرمة استنادا إلى ما روى عن النبيﷺ من قوله (دحيت الأرض من مكة) على هذه الحالة يتضح وجه تسمية مكة بأم القرى وزاد بعضهم أن فيها قبور نوح وهود وصالح وشعيب وكلها بين الزمزم والركن والمقام وقد قرأ زيد بن علي خليقة بالقاف فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وعلى هذه القراءة يتمحض أن يكون الخليفة آدم عليه السلام وقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما أشرنا آنفا متوجه إلى بعض من ذرية آدم لأن فيهم من يفعل أفعال الملائكة بل ويفضلهم كالأنبياء والرسل والصديقين وفيهم من يساوي الملائكة في طهارته وتقاه وسط خضم من الفتن والغرائز التي تجتذب الإنسان بأصل خلقته وغرائزه وما ركب فيه من شهوات وإزاء هذا الجهاد البشري لتغليب الخير على الشر والتمحض للبناء والنفع والإصلاح يصبح الإنسان أهلا لتلك المباهاة التي يباهي بها ربنا ملائكته بأبناء آدم عندما يقفون بعرفات أو عندما يقدمون الأزواج والأموال في سبيل مرضاة ربهم، أما التسبيح في قوله ونحن ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ فهو التنزيه عما لا يليق بالخالق سبحانه وتعالى والعرب يطلقون التسبيح على التنزيه من السوء على وجه التعظيم وفي ذلك يقول أعشى بني ثعلبة:

أقول لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاخر

أي براءة من علقمة وروى سيدنا طلحة بن عبد الله قال سالت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: **(هو تنزيه الله عزّ وجلّ عن كل سوء)** واختلف في تسبيح

الملائكة فقيل إن تسبيحهم هو صلاتهم وقد ورد في التنزيل إطلاق التسبيح على الصلاة في قصة ذي النون عليه السلام -﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي المصلين ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقيل إن تسبيح الملائكة هو رفع أصواتهم بالذكر والحمد والشكر وقد اطلق التسبيح على هذا المعنى في الشعر العربي الفصيح قال جرير:

قبح الإله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا

واصل سبح من السبح وهو الجري لان المسبح جار في تنزيه الله وتبرئته من السوء وقال قتادة، تسبيح الملائكة قولهم سبحان الله على عرفه اللغوي ويؤيده ما رواه ابو ذر الغفاري ان رسول الله سئل أي الكلام افضل؟ فقال ما اصطفى الله لملائكته (**سبحان الله وبحمده**) وهذا الحديث يتناسب مع نسق الآية ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾لان بعض المفسرين قدر الباء في الآية فقال أي لنحمد ليختلط التسبيح بالحمد ونصله به، واصل الحمد المدح والثناء اما التقديس فهو التعظيم والتنزيه والتطهير عما لا يليق وقيل ان المراد بقوله (**ونقدس لك**) أي نطهر انفسنا ابتغاء مرضاتك وقيل ان معنى ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناه نصلي لك ويطلق التقديس على الصلاة ولذلك كان ﷺ يقول في سجوده وركوعه (**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**) أما البناء اللغوي الشائع لكلمة (**قدس**) (**ادخلوا الأرض المقدسة**) (**بالوادي المقدس**) ففي كلها حمل ويحمل على المطهر، وقد روى في الحديث الشريف قول الرسول ﷺ (**لاقدست امة لا يؤخذ من قويها لضعيفها**) واما القدس فهو الطهر بدون خلاف أي المطهر وقوله سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو اخبار بان علمه تعالى يفوق علمهم وهو مؤكد في حين أن الملائكة لا يمارون في ذلك ولا يجادلون فيه، اما لان تساؤلهم وذكرهم لاقبح وجهي ابن آدم يقتضي أن يزيل ترددهم في مزية الخلق أو لان إبليس كان في وسطهم وهو قد ابلس بعد وفسق ولعن فيكون الخبر والتأكيد موجها إليه، وعلمه تعالى بما لا يعلمون متوجه إلى ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة فسبحان من انفرد بالعلم المحيط وسبحان من ادخر للإنسان هذه الفضائل التي تعلي مقامه إذا استقام واتبع سبيل الله على مقامات الملائكة الاطهار الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وما اعظمها نعم الله التي أحاطت بهذا الإنسان الجحود الكنود من كل جانب وتولته منذ أن كان طينا لازبا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد صدق ربنا حين قال في حق هذا الإنسان وجحوده ونظرته لنعم ربه ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾.

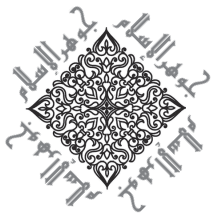

الاجتهاد ماضيه وحاضره[1]

القسم الثاني

بقلم فضيلة الشيخ الفاضل ابن عاشور ـ رحمه الله ـ[2]

وبما تقدم ينبغي أن يفهم كلام الجصّاص في «أحكام القرآن»، فقد ذكر في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ آل عمران 159، أن من فوائد الآية الأشعار بمنزلة الصحابة وانهم أهل الاجتهاد... الخ. فيحمل هذا الكلام على الإجمال والتنويه بعظم منزلة الصحابة، وتكون استشارة النبي صلى الله عليه وسلم، تزكية لهم تجعل فقيههم ارفع منزلة من غيره من الفقهاء، والمستشارين منهم أعلى مقاما من أهل الشورى من غيرهم، وهذا أمر واضح لا إمتراء فيه، ولا يناقض ما قررنا، من أن منهم من اختص بالفقه دون سواه، ولكل فضل.

فإذا انتهينا من هذا إلى أن طائفة من الصحابة كانوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم فقهاء عصرهم، المفتين لبقيتهم، فإننا نبني على ذلك: أن هؤلاء السادة بعد أن كانوا كلهم مقيمين في المدينة يشهد بعضهم اجتهاد بعض، ويراجع بعضهم بعضا، كما ورد في أحاديث صحيحة عن عائشة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، ومروان بن الحكم، وغيرهم، فان هذا الاجتماع المكاني لم يطل عهده، اذ لم يكد يستقر امر الجامعة الإسلامية آخر خلافة الصديق رضي الله عنه حتى امتدت الفتوح وتمصّرت

(1) من بحوث المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، شوال 1373هـ / مارس 1964م

(2) مفتي الجمهورية بتونس، عضو مجمع البحوث الإسلامية بالازهر الشريف

الأمصار، وتفرق الأصحاب الكرام، في المغازي والولايات، وتوطنوا الأمصار، بين مكة والمدينة والعراق والشام ومصر، فتباعد ما بين بعضهم وبعض، ونزلت في الأمصار المتباعدة نوازل اتحدت صور بعضها واختلفت صور بعض، فكانوا يفتون في الصور التي يسألون عنها بالأحكام التي يستنبطونها من الأدلة، وليس الاستنباط بالأمر الضروري الذي لا تختلف فيه العقول، ولكنه يختلف بحسب اختلاف التقادير للوقائع، وبحسب اختلاف الأدلة بعضها عن بعض، مما يرجع إلى استمداد الحكم عند كل واحد، وبحسب اختلاف التقادير في إدراج كل صورة تحت ما يرى المفتون اندراجها تحته من الأدلة الإجمالية وبحسب اختلاف المناهج الذهنية التي يسلكها كل واحد في استدلاله، ولذلك اختلفت الفتاوى فيما بينهم، فربما أفتى الواحد منهم في صورة بالاباحة، وأفتى غيره فيها بالحظر، أما المتقاربون منهم تقاربا مكانيا في الأمصار فكانوا يتراجعون ويتبين بعضهم من بعض مسلكه في الاجتهاد بالمراجعة، واما المتباعدون في الاماكن، فما كان يبلغ أهل مصر منهم ما يفتي به غيره في مصر آخر إلا قليلا، وإذا بلغهم فان طريق المراجعة فيه يكون متعسرا، فحصل من ذلك أن الصحابة المقيمين بكل مصر من الأمصار تقاربت فتاويهم، واشتركت طرائق الاستدلال بينهم، على قدر ما تباعدت الفتاوى بينهم وبين المقيمين في مصر آخر، وتفرقت المسالك. فإذا كان الاختلاف بين فقيه وفقيه أمرا لازما، فان اختلاف أهل مصر عن أهل مصر آخر ألزم، وآكد، وأبعد مدى.

وقد بين العلامة ابن خلدون أن وقوع الخلاف بين السلف في الأحكام الفقهية، امر لا بد منه، وارجع ذلك إلى أسباب تعدد مسميات الألفاظ، وتعارض الأحاديث مع اختلاف طرق التراجيح واختلاف مسالك القياس والاستدلال فيما لا نص فيه. ويمكن أن يضاف إلى ذلك سببان آخران، لم يذكرهما: أحدهما اختلاف الطبائع في تقدير الواقعات بين الشدة والسهولة، كما قيل في رخص ابن عباس، وتشديدات ابن عمر، والثاني اختلاف الأثر الإقليمي، مما يجعل تصور الواقعة في مصر مقترنا بملابسات لا تقارنه في مصر آخر، هي التي حملت الفقيه على أن يقدر فيه ما لا يقدره غيره.

هذا ولما كانت الحوادث المتكررة، على اختلافها، تحمل الفقيه على أن يعود، المرة بعد الأخرى، إلى الأدلة التي سبق له أن استدل بها، وان يعاود سلوك المسلك الذي كان درج عليه في استفادة الحكم مرات متعددة، فان كل واحد من الفقهاء

أصبحت له في الاستدلال صور متكررة متشابهة، تصدر عن مقدمات كلية تتعلق بما يعتمد لديه من الأدلة وما لا يعتمد وما يوصل من المسالك إلى ربط الحكم بدليله وما لا يوصل، ومن اشتراك تلك المقدمات الكلية ينشأ ما بين الفتاوى الصادرة عن الفقيه الواحد من التقارب في المدارك، وان تباعدت في مواضيع الأحكام. والى ذلك أيضا يرجع السبب في اختلاف الفقيه عن الفقيه في الحكم الذي يفتي به كل منهما في الصورة الواحدة، اختلافا يشعر بان لكل وجهة، ومع ذلك لم يكونوا يوضحون هذه الاختلافات الأصلية ولا يضبطونها.

فلما جاء الناشئون من الطبقة التي بعدهم، وهي طبقة التابعين، واتصلوا بهم،ومارسوهم، وتخرجوا بهم، ووجدوا أنفسهم متأثرين بأصولهم في الأدلة والاستدلال، بدؤوا يحسون بما بين بعضهم وبعض من اختلاف الأصول الاستدلالية، تستند إليه اختلافاتهم في الفروع الفقهية، واحسوا بان هذا الاختلاف الأصلي واضح بين بالنظر إلى اختلاف الأمصار وانطباع الفقه في كل مصر بطابع يرجع إلى تسلسل الطريقة التي درج عليها فقهاء الصحابة من أهل مصر في أخلاقهم وخريجيهم، من فقهاء التابعين في المصر نفسه. فكان فقهاء المدينة من التابعين: عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسليمان بن يسار، ونافع،وغيرهم، على طريقة فقهاء الصحابة بالمدينة، عائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر. وكان فقهاء التابعين بمكة: مجاهد وعكرمة وعطاء، على طريقة ابن عباس. وكان علقمة وشريح بالكوفة على طريقة فقهائها من الصحابة: معاوية ومعاذ بن جبل وغيرهما. وكان يزيد بن أبي حبيب بمصر على طريقة فقيهها من الصحابة: عبد الله بن عمرو

ثم لما ادركت طبقة فقهاء التابعين هذه طبقة أخرى، تخرجت بهم كما تخرجوا هم من قبل، بفقهاء الصحابة، وتمرسوا بهم، ووقفوا على طرائقهم في الاستدلال، وقارنوا بين فتاويهم وفتاوى من قبلهم من فقهاء الصحابة، وعرفوا أماكن الاختلاف بين فقهاء الأمصار في الفتوى، اختلافا يومئ إلى ما وراءه من اختلاف في تقدير المدارك وطرق الاستنباط منها، رجعوا إلى الفتاوى يستقرئونها ويردونها إلى أدلتها، ويستخرجون من ذلك الاستقراء الشامل للفروع والأصول ضوابط كلية لأنواع الأدلة، وأوصافا تفصيلية لطرق الاستدلال التي نشئوا عليها، وتفقهوا بها، واطمأنوا إلى صواب نتائجها في الأحكام فإذا كل مركز من تلك المراكز الفقهية، أو الأمصار، يستقر فقهه على علم يصبح الفقيه المرجوع إليه، وإذا الفقيه ينتصب معربا عن الأصول

الاجتهادية التي استنبطها بالاستقراء مبرهنا عليها محتجّا لها، مجادلا فيها....فبرز بذلك الفقه المتسلسل في كل مصر من الأمصار من لدن الصحابة رضوان الله عليهم، في فقيه انقلب الفقه بين يديه مذهبا كليا بعد أن كان أقوالا جزئية.

وكان هؤلاء الأئمة الخمسة الذين تمثل فيهم فقه الأمصار الخمسة: مالك بالمدينة، والشافعي بمكة، وأبو حنيفة بالعراق، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر. وهم ان لم يتعاصروا على التفصيل، فقد كانوا متعاصرين على الجملة: فأبو حنيفة وهو اسبقهم وفاة عاصر مالكا والأوزاعي والليث، وأحدثهم سنّا، وهو الشافعي، عاصر مالكا والليث، ففي معاصرة الشافعي لمالك ومعاصرة مالك لابي حنيفة، يتحقق معنى المعاصرة الجملية بينهم جميعا، وكانت حياتهم على التعاقب مالئة للقرن الثاني: فقد ولد أبو حنيفة آخر القرن الأول، وتوفي الشافعي أوائل القرن الثالث، فاشتركوا بتعاصرهم واتصال بعضهم ببعض في وضع القواعد الأصلية للاجتهاد كل على طريقته، وبحسب استقرائه وانتهوا إلى ترتيب الفقيه من حيث الاستدلال على مراتب:

أعلاها الفقه الذي هو فوق الاستدلال، وهو المعلوم بالضرورة الذي لا يحتاج للاستدلال عليه، ولا مجال للاجتهاد فيه، لأنه التحق بالمعلوم الضروري.

المرتبة الثانية: الفقه المستنبط من ادلة لم يختلف واحد من المجتهدين عن الآخر في كونها ادلة وفي كون نتيجتها ذلك الحكم.

المرتبة الثالثة: الفقه المستنبط من ادلة مختلف في اصل دلالتها، مثل عمل أهل المدينة وسد الذرائع عند المالكية، والاستحسان وقول الصحابي عند الحنفية، أو من ادلة متفق عليها في الاصل: هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس، مع الاختلاف التفصيلي في شروطها ومفادها، ومبلغ الاستدلال بها، كاختلافهم في المفهوم من الكتاب، وفي العمل بالحديث المرسل، وفي أن الاجماع خاص بالصحابة أو شامل لمن بعدهم، ويستدل بالسكوتي منه اولا، وفي شروط القياس ومسالك العلة والفرق بين الجلي منه والخفي. كما رتبوا الفقه من حيث الأحكام على مراتب أيضا: اعلاها الضروري، ويليها المجمع عليه، ويليها المختلف فيه.

وكان هذا الدور الذي انتهى إليه الفقه في القرن الثاني دور استقرار المذاهب على الحقيقة، لأن الاجتهاد قبله كان افتاء في الفروع، بدون اعراب عن قواعد ادلتها، فجاء

هذا الدور بابراز القواعد والاعراب عنها، والكشف عن مناهج الفقهاء في اجتهادهم، فكان ابرازا للمذاهب وتأصيلا لها.

وقد عاصر هؤلاء الفقهاء الخمسة فقهاء كثيرون، منهم من لم يتكلم في الأصول، فلم يبرز باجتهاده مذهبا، وان كان حظه من الخلاف الفقهي قويا، مثل سفيان الثوري، وسفيان بن عينية، وابن أبي ليلى، وعبد الله بن المبارك. ومنهم فقهاء آخرون اتصل عملهم الفقهي بأصول خارجة عن قوانين الاجتهاد راجعة إلى مسائل مما افترق فيه المسلمون فرقا بخلافات اعتقادية أو غيرها، مثل زرارة بن اعين من الامامية، وجبير بن غالب من الشراة، فكان الاختلاف في الأصول النظرية التي فرقت الفرق حجابا دون بروز قواعدهم الاجتهادية.

وكان هذا العمل التأصيلي يتجلى في الرسائل التي دارت بين بعض الأئمة وبعض، وفي محاوراتهم ومناظراتهم واستدلالاتهم وردودهم التي تضمنت اخبارها الكتب، كما تضمنت نصوص رسائل منها، حتى جاء الإمام الشافعي فكتب رسالته العظيمة، وشرح فيها اصناف الأدلة، وكيفية الاستدلال، الصحيح منها في نظره وغير الصحيح، وبرهن وناقش واحتج، فاكتمل برسالته بروز معنى الاجتهاد وأصوله، ومناحي اتفاقه واختلافه، وتكون بها علم أصول الفقه.

ومن بعد هؤلاء جاءت طبقة من الفقهاء في القرن الثالث واوائل القرن الرابع، منهم من استمر سائرا على منطق الاجتهاد المطلق، فلم يقلد في أصول ولا فروع... اما مع الامساك عن البحث في الأصول مثل أبي ثور ومحمد بن جرير الطبري، وإما مع البحث في الأصول مثل احمد بن حنبل فقد كون احمد مذهبا مناظرا للمذاهب المتقدمة من حيث الاختلاف في الأصول، فخالف في حجية اجماع غير الصحابة وفي مفاد الخبر الواحد، فقال انه يفيد اليقين لا الظن، ومثل داود بن علي الاصفهاني، اذ التزم الظاهر فعطل دلالة التأويل وعطل القياس الخفي.

ومن فقهاء هذه الطبقة في القرن الثالث واوائل القرن الرابع، من تقلدوا المبادئ الاصلية التي وضعت في القرن الثاني، فتوزعوا بين المذاهب، منتسبين إليها، ملتزمين أصولها، لكن بدون تقليد في الفروع، بل باعتماد على النظر التوجيهي في كل مسألة تنزل من مسائل الفتوى، مع التزام السير على ما قال به أئمة المذاهب الاولون في

الأدلة وشروط الاستدلال وكيفياته، فكونوا بذلك صورة جديدة في الفقه، لم تنزل عن حد الاجتهاد، وان لم تنته إلى غايته.

فكان من أصحاب أبي حنيفة امثال: أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد، ومن أصحاب مالك: ابن نافع وابن الماجشون وابن القاسم واشهب، وعلي بن زياد ويحي بن يحي، وامثالهم، ومن أصحاب الشافعي: الزعفراني والبويطي والمزني والربيع ويونس، فكان هؤلاء جميعا وامثالهم ممن لا يكاد يحصى، مجتهدين مفرعين غير مؤصلين ابتدأ بهم معنى تقليد الفقيه للفقيه الذي برزت به صورة المذاهب في معناها الالتزامي الاتباعي. وسرعان ما التحق بهم في القرن الرابع متبعون للمذهبين المتأخرين: الحنبلي والظاهري، فسلكوا مسلك سابقيهم في الانتساب إلى المذهب والاخذ بأصوله، مع حرية الاجتهاد في تقرير الأحكام المتعلقة بالوقائع، ومع السير في الاستدلال على المنهج الاصلي الذي التزموه، ومن يومئذ انقطع الاجتهاد المطلق، فهل نستطيع أن نقول: أن باب الاجتهاد اغلق في القرن الرابع؟

الحق اننا إذا نظرنا إلى الاجتهاد، في اكمل معانيه، واسمى مبالغه، وهو الاجتهاد التاصيلي الذي شاع في القرن الثاني والثالث، فإننا لا نشك في أن بابه قد انغلق بالفعل منذ القرن الرابع، أو انه – وان اعتبر مفتوحا- لم يدخله داخل من بعد، إذا تمسكنا بالنظرية التي تمسك بها جمهور العلماء المحققين من المتقدمين والمتأخرين من أن باب الاجتهاد لم يغلق، وقد قال استاذنا الاكبر المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين: «دعوى أن باب الاجتهاد مغلق لا تسمع إلا بدليل ينسخ الأدلة التي انفتح بها اولا»

وقد اصطلح علماء الأصول منذ القرن الخامس على أن معنى الاجتهاد اوسع من ذلك، فجعلوا الشروط التي قرروها للاجتهاد خاصة بالمجتهد المطلق. ولكن الذي يتأمل في المراتب التي رتبوا عليها درجات الاجتهاد، ويتأمل في تاريخ المذاهب والفقهاء الذين تعاقبوا في كل مذهب على مر القرون ويقابل هذا بذاك، يتبين له أن الاجتهاد لم يزل متنازلا متضايقا متصاغرا، قرنا فقرنا، لا تاتي طائفة من الفقهاء إلا والتقليد اغلب عليها منه على التي قبلها.

فإذا كان الفقهاء الذين اتوا اثر ائمة المذاهب مجتهدين في الفروع، أو مجتهدين مقيدين كما سموهم، فانهم كانوا مستقلين بوضع الأحكام، كما يتبين من تتبع

الخلافات داخل المذاهب: فقد اختلف أبو يوسف ومحمد صاحبا الإمام أبو حنيفة عنه، حتى قيل: انهما لم يتواردا على موافقته إلا في مسائل معدودة عد القلة.

وفي المذهب المالكي يقل أن توجد مسالة لم يجر فيها خلاف بين الإمام وبين واحد أو جماعة من أصحابه. فليس اجتهاد أهل التفريع، أو المقيدين تخريجا على نصوص ائمتهم، كما يقول الشيخ السيكي، بل إنما كانوا يرجعون إلى ادلة الشريعة الاصلية إلا انهم يتقيدون بالجري على طريقة امامهم في الاستدلال ومراعاة قواعده وشروطه فيه، كما حققه ابن قاسم في «الايات البينات»

ولكن الذين جاؤوا من بعدهم من منتصف القرن الرابع إلى أواخر القرن الخامس هم الذين جعلوا همهم في الفقه احصاء الاقوال، وتدقق محال اتفاقها واختلافها، والتخريج عليها فيما لم تشمله من المسائل .. وهذا شأن الكرخي والطحاوي – من الحنفية- والابهري وابن أبي زيد وابن أبي زمنين- من المالكية- والمروزي وابو حامد الاسفراييني وابو اسحاق الشيرازي – من الشافعية- والخرقي- من الحنابلة- واضرابهم ممن يصح أن نسميهم «أهل التطبيق» فكانوا مقلدين تماما، لا مجال للتأويل فيه.

ولما جاء الذين من بعدهم وجدوا اقوالا مدونة كثيرة، مختلف بعضها عن بعض، فاقبلوا عليها بالفحص والترجيح والاختيار، وهؤلاء هم الذين سموا «مجتهدي الفتيا» ونسميهم «أهل التنقيح» الذين ملأوا القرنين السادس والسابع، لا يحدثون في الفقه قولا جديدا ولو تخريجا، ولكنهم يعللون ويحتجون ويناقشون وينصرون قولا على آخر، لقوة سنده، أو قوة دليله، أو ملاءمته لأحوال الناس في ذلك العصر مثل: الكاساني وقاضي خان والمرغيناني وابن رشد والمازري وعياض والغزالي وابن أبي عصرون.

وقد ادى هذا الاختيار إلى نهاية ضيق المذاهب، لأن ما كان فيها من سعة بالخلاف الداخلي، قد ادى إلى اختصار واقتصار، فالغيت الاقوال غير المرجحة، ووضعت الكتب المختصرة على قاعدة الاكثار من المسائل، والاقتصاد في الالفاظ، والاعراض عن الأدلة، والاكتفاء في مسألة بقول واحد هو الذي اخذ به رجال التنقيح، وعلى ذلك المنهج دونت المذاهب من جديد في المختصرات التي فتح بها دور جديد، يصح أن يسمى «دور تقنين» ابتداء بـ «الوجيز» للغزالي وهو المقتدى به عندهم، ثم

استقرارا على الكتب التي لم تزل ملتزمة منذ القرن السابع والثامن إلى الآن: أعني «المنهاج» للنووي، و«مختصر ابن الحاجب: ثم «مختصر خليل» و«الكنز» للنسفي. ولقد كان من الفقهاء، في هذه الادوار الثلاثة، من لا يساير هذا الاتجاه، وينعى على التعصب المذهبي، ويندد بالتقليد، ولعل أوّل من اتضح موقفه في وجه هذا التيار على مبدأ انصبابه هو القاضي أبو بكر بن العربي الاندلسي في القرن السادس فاوسع أهل عصره وخاصة أهل قطره، ملامة على التقليد، وتعييرا بالجهل والقصور، لا سيما في كتابه «العواصم من القواصم»[1]، ولم تزل تلك الدعوة مترددة متجاوبة بين افراد تغمرهم غلبة التقليد، وتعصف بهم رياح التعصب والالتزام، فجاء ابن رشد الحفيد في أواخر القرن السادس يحاول أن يوسع بكتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ما ضيقت كتب عصره من الفقه، فلم يقم الناس له كبير وزن، ولم يعيروه عظيم اهتمام، وظهر في القرن السابع بمصر الشيخان عز الدين بن عبد السلام، وتقي الدين بن دقيق العيد، فأظهرا في علمهما وكتابتهما نزعة إلى الاجتهاد والاستدلال، ولكنهما لم يدعوا إلى ذلك، ولا جهرا بالعيب على التقليد، كما فعل ابن العربي، وجاء في القرن الثامن الإمام ابن عرفة بتونس، فتبرّم بالضيق والالتزام اللذين اخذ المالكية بهما انفسهم فرجع يجمع الاقوال المتروكة من الدواوين القديمة وينظر في وجه تشهيرها وترجيحها، نظرا قد ينتهي به إلى اختيار خلاف ما اختاروا، والاحتجاج لغير ما احتجوا له فلم يعتبر ذلك في أوّل الأمر إلا تفقها لا فقها، وبقي مقصورا على مجال الدراسة والتحرير. ولكن تلاميذ ابن عرفة هم الذين جهروا بمتابعة طريقته، وعملوا بها في اقضيتهم، ورسائلهم، وفتاواهم، فاعتمدوا تحقيق المناط وعدلوا عن كثير من المأخوذ به عند المالكية إلى اقوال كانت مستضعفة، أو آراء لم تعرف في المذهب من قبلهم.

فبرز بهذا التفقه في القرن التاسع البرزلي وابن مرزوق الحفيد، وابن ناجي واشاعوه في البلاد المغربية باسرها، واخذ به الفقهاء في تلمسان وفاس، فاعتنوا بآراء المتأخرين، وحرصوا على جمع اقضيتهم ورسائلهم وفتاويهم بما جاء به في الزقاق في «اللامية»، والسجلماسي في «العمليات العامة» والونشريسي في «المعيار» والشيخ محمد عظوم في «الرسائل» ثم الشيخ قاسم عظوم في مجموع فتاويه، مما يتبين في جميعه مبلغ التطور الذي جرى في المذهب المالكي منذ القرن الثامن.

(1) طبع في الجزائر سنة 1346 هـ

وفي تلك الحقبة نفسها كانت قد ظهرت في الشام دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الاعتصام بالسنة، والعدول عن مذاهب المتأخرين إلى مذاهب السلف، ومقاومة البدع التي حملت على الدين، واظهر على الانكار على التقليد، وافتى في فتاواهم التي سلك في كثير منها مسلك النظر المستقل على طريقته السلفية. ولكن عمله كان اشد مساسا بأصول الدين منه بالفروع. وتاثر بدعوته تلاميذه، واخصهم الشيخ ابن القيم، الذي شن الغارة على التقليد واشاد بالاجتهاد، وابدع في الغوص على اسرار الشريعة، ومدارك الأحكام، واخذ في فتاويه بطريقة النظر في الأدلة، وقلة الاعتداد بما التزم المتأخرون من مذاهب.

ولمع في مصر شهاب شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني بسعة النظر في المذاهب ومداركها، والسمو إلى الانصاف بينها، وتحقيق مناط الأحكام، وسرت طريقته في تلاميذه، وخاصة الإمام جلال الدين السيوطي، الذي استقل بالفتوى استقلالا بعيد المدى، واشتد في مناظرة المقلدين، وشنع على التقليد، ونبه إلى «أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، وسرت انوار طريقته ودعوته في اشعة شمس الأزهر الضاربة في الأقطار الدانية والقاصية في العالم الإسلامي، وتاثر بها رجال من فقهاء المذاهب كلها، وكان لها في المذهب الحنفي صدى قوي، في القرن العاشر والقرن الحادي عشر، يُحس في معروضات أبي السعود، و»فتاوى خير الدين الرملي»، «والفتاوى الهندية» التي جمعها السلطان «اورنك زيب» على ما فيها كلها من الابقاء على الالتزام المذهبي.

ولم يخل القرنان الثاني عشر والثالث عشر، بالمشرق والمغرب، من رجال يتطلعون في تحاريرهم الفقهية وفتاويهم إلى السمو عن منزلة النقل من الكتب إلى منزلة التحرير والتخريج إلى حد محدود: مثل التسولي، والرهوني في المغرب، وبيرم الثاني، واسماعيل التميمي بتونس، وابن عابدين بالشام. ولكن اثنين ارتفعا ارتفاعا فائقا إلى مقام الاجتهاد: اولهما من الهند وهو ولي الله الدهلوي، وثانيهما من اليمن وهو الإمام محمد بن علي الشوكاني، فهذان هما اللذان استقلا بالنظر في المسائل استقلالا تاما شاملا، وجددا معاني الأصول، ومعاني الأحكام، لا سيما ثانيهما الذي توفي في اوائل القرن الماضي: فلقد ترك من بين كتبه المهمة شاهدين زكيين في كتاب «نيل الاوطار» وكتاب «ارشاد الفحول». على انه قد ارتقى إلى مقام النظر في الأدلة، والاستنباط منها، وانه لم يقل في مسألة من الفقه إلا بما اداه إليه الدليل وان له في

الأدلة ومناهجها انظارا تساوي الانظار الاجتهادية الاصلية التي بنيت عليها كتب أصول الفقه.

وضعف امر المسلمين في القرن الثالث عشر ضعفا شديدا، فتساقطت دولهم، وغلبوا على امرهم في عقر ديارهم، وغزتهم المسيحية بقواها: المدنية، والسلطانية، والفكرية، والصناعية، فصبغت حياتهم في عامة نواحيها بصبغ الحياة الاروبية، وبعد واقعهم عن صور الأحكام الفقهية التي يدرسونها، ويقضون بها، ويفتون، وانطلقوا سادرين، في حياتهم الجديدة، حيارى تائهين، يشعرون بان سيرهم في حياتهم العامة على غير هدى دينهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا امرهم إليه، فدخلت القوانين غير الإسلامية يقضى بها في بلاد الإسلام، واقيمت المعاملات الداخلية والخارجية على غير ما يدين المسلمون به من صور علائقهم مع بعضهم بعضا، وعلائقهم مع غيرهم. والحت عليهم آلام هذا الوضع الشنيع، فبدأوا يتحسسون من أنفسهم، ويعملون على التماس الوسائل لتفريج الكرب الذي هم فيه. وظهرت محاولات عملية لتقوية الشوكة، وإصلاح الدولة، فلم تزدهم إلا خبالا، حتى ظهرت في أواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر الدعوة التجديدية الإصلاحية، التي نادى بها السيد جمال الدين الافغاني، والشيخ محمد عبدة. اذ اهابا بالمسلمين إلى الرجوع إلى دينهم الحق، وان يتخذوا من حسن فهم الدين، اعتقادا وعملا، ما يكون لهم دريئة دون الدمار الحق الذي كان يهدد وطن الإسلام، واتجهت هذه الدعوة وجهة كلامية اصلية في أوّل امرها: تشرح العقيدة، وتبين أسباب قوة المسلمين بها، وتوقف ارتباط احتلالهم باختلالها، وتنبه إلى مقام العلم والعقل من الدين، وتوضح أن الدين مناط الرشد الخلقي، والتمدن الاجتماعي، كما جاء ذلك كله في دستور هذه الدعوة، وعماد حركتها، ألا وهو «رسالة التوحيد»، للشيخ محمد عبده. ثم اتجهت الدعوة إلى المساس بمسائل الأحكام والاجتهاد فيها، ولا سيما بعد انشاء «مجلة المنار»، وصدور الفتاوى التي اشتهرت بها «المنار» واشتهر بها اسم الشيخ محمد عبده في الاثر الفقهي.

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد نظر إليه بعين النظر إلى المجتهدين، فانكر عليه بذلك المنكرون واثنى عليه المثنون، في حديث الفتوى الترنسفالية، وفتوى التامين، وفتوى صندوق التوفير، وما جاء من اشباه ذلك في دروسه وتقاريره، فانه لم يصرح بالدعوة إلى الاجتهاد، ولا حام حولها.

ولكن الذي اثار مسألة الاجتهاد – على نحو الطريقة السلفية- إنما هو تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، فهو الذي عالج كثيرا من المشكلات الفقهية: مثل مسألة تعدد الزوجات، ومسائل الطلاق والعدة ونحوها، مما تاثرت به قوانين الاحوال الشخصية التي صدرت في أكثر البلدان العربية. فلم تزل مشكلة الاجتهاد مطروحة على بساط البحث، وبين الاخذ والرد إلى اليوم، من ستين سنة أو تزيد.

هذا هو مجمل قضية الاجتهاد: في اطوارها وصورها ومشاكلها، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر.

وانه ليصح لنا أن نتساءل بعد هذا العرض: هل انقطع الاجتهاد؟ أو استمر مطردا؟ فإذا كان قد انقطع، فماذا نعني بتجديده؟ والام نهدف من ذلك؟ وان كان لم ينقطع فما الذي نشكوه من امرنا اليوم؟ وما هو السبيل إلى علاج ما نشكو؟

وان وضع هذا السؤال المفرع- في خاتمة المطاف- ليعود بنا إلى ما كنا عرجنا عليه: من مسألة صور الاجتهاد ومراتبه، التي تقبلها وقال بها أكثر علماء الأصول، ولقد احسن ضبطها وتلخيصها أبو اسحاق الشاطبي في كتاب الاجتهاد من «الموافقات»: اذ جعل الاجتهاد على مراتب: منها ما يمكن أن ينقطع ومنها ما لا يمكن أن ينقطع، وقد بين الاجتهاد الذي لا يمكن أن ينقطع، وهو من تحقيق المناط بما هو حاصل بعد ثبوت الحكم بمدركه الشرعي، وهو راجع إلى ادخل جزئيات القضايا تحت الحكم، لا ادخال جزئيات الأحكام تحت الدليل، فليس هو من الاجتهاد الذي نقصده، وإنما هو عمل القاضي في تنزيل الحكم المدون على القضية النازلة، والمفتي المقلد عندما يبين انطباق حكم مقرر من قبل على الصورة المسؤول عنها، وقد صرح ابن القاسم في «الايات البينات» بان صاحب هذه المرتبة ليس من الاجتهاد في شيء.

وإنما الصور التي فوق هذه، مما جعله الشاطبي قابلا للانقطاع، فهي محل بحثنا، وهي التي راينا انها انقطعت بتنازل متتابع درجة فدرجة عند جمهرة الفقهاء، ولكنا راينا أيضا أن ذلك التنازل لم يشمل جميع الفقهاء، لوجود قلة تدافع في كل عصر حكم التنازل التي اتى على الاكثرين، والذي بمقتضاه اعتبر المجتهدون درجات على ما بينه الأصوليون: فالدرجة العليا، وهي درجة الاجتهاد المطلق، هي التي ايقنا بانقطاعها وتعطل سبيلها منذ الف سنة، وما أمكننا أن نجد بعد القرن الرابع من بلغ إليها، على كثرة ما تطلع الناس إلى مقام الاستقلال في الاستدلال، لأننا وجدنا

قصارى ما بلغ إليه البالغون اختيارا لقول من بين اقوال- على طريقة الانصاف- أو رجوعا إلى دليل لاستنباط حكم لم يستنبطه واحد من السابقين، لكن على المناهج التي كانوا قد سلكوها من قبل للاستدلال. واعجب ما في ذلك أن الذين دعوا إلى الاجتهاد من القدماء والمحدثين، واتوا بما عدوه، وعده الناس عليهم اجتهادا، لم يكونوا فيما اتوا إلا في المراتب الدنيا من مقدمات المجتهدين، فهل زاد الواحد منهم على الاستقلال بالفتوى في مسائل معدودة؟ أو الانتصار لمذهب غير مذهبه؟ أو لقول متروك أو ضعيف أو مرجوح؟

فالحق أن الانقطاع الذي قال الشاطبي بامكانه قد حصل بالفعل، وان العلماء والعامة من المسلمين قد قنعوا بحالة انقطاعه، ولم يحدث لهم اختلالا في امرهم، ولا اضطرارا، كالذي نحن فيهما اليوم.

وإنما كان هذا الاكتفاء -في الحقيقة- راجعا إلى أن اوضاع الحياة الفردية والاجتماعية قد استمرت منذ أن انقطع الاجتهاد المطلق إلى أن ظهرت الحركة الإصلاحية الحديثة صدر القرن الحاضر، متحدة أو متقاربة جدا، في عامة مقوماتها فكانت التقادير والاعتبارات التي اخذ بها الفقيه في القرن الثالث والقرن الرابع باقية بعينها، لا يستطيع فقيه في القرن الثامن أو التاسع أن يأخذ إلا بها، وإذا كانت صور تقدير الحوادث النازلة قد بقيت متشابهة فان الرجوع بها إلى الدليل لا يكون إلا من الطرق التي رجع إلى الدليل منها عند المتقدمين، فيكون تشابه الحوادث قاضيا بتشابه الأدلة، وتقارب مسالك الاستدلال. فذلك لم يتهيأ تكون دافع يدفع بالفقيه إلى النظر في الأدلة ومسالك الاستدلال، بحيث اصبحت أكثر الصور التي تعرض لحياة الناس بعد استقرار المذاهب وتمام التفريع فيها سابقا حدوثها تقرير الحكم لها إذا اكد الفقيه ذهنه بوضع حكم لها لم ينته به كده إلا إلى تحصيل الحاصل، وقد نقل عن إمام الحرمين انه قال: «يبعد أن تقع مسألة لم ينص عليها في المذهب ولا هي في معنى المنصوص ولا مندرجة تحت ضابط فتبقى المسائل القليلة، التي لا تبعد كثيرا عن اخواتها مجالا لعمل التخريج أو الترجيح. ولذلك فان تعطل الاجتهاد المطلق، وتنازل الاجتهاد في المراتب لم يكن فيما قبل القرن الثالث عشر إلا نقصا عمليا يحق لمن شكوا منه أن يشكوا، لكن لم يترتب عليه خلل اجتماعي»

أما بالنسبة للقرنين الآخرين فان الاوضاع انقلبت انقلابا تاما بحيث اصبحت المسائل المدونة في كتب الفقه قليلة النظائر في الحياة العملية الحاضرة، وذلك هو الذي جعل مشكلة الاجتهاد مصورة في يومنا الحاضر بما لم تتصور به في القرون الغابرة ولا يمكن أن تتصور به، فقد اصبحت مظهرا لانعزال الدين عن الحياة العملية، واندفاع تيار الحياة بالامة الإسلامية في مجرى الهوى، الذي ما جاء الدين إلا ليخرج بالمكلفين عن داعيته. فإذا استطاعت الدولة الإسلامية أن تلفق قوانين للاحوال الشخصية تستمد من المذاهب المختلفة، نصا أو تخريجا فاين هي من بقية القوانين العامة والخاصة؟ واين الدارسون للشريعة والباحثون في الأحكام والداعون إلى الاجتهاد فيها من مبالغ الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية التي تطفح على بلاد الإسلام بكل نظام اجنبي مستعار، دخيل على الملة، غريب على الدين؟!ولقد راينا أن كل ما سبقت محاولته في هذا الباب راجع إلى مسائل جزئية اكثرها تتنزل بمراتب عن مرتبة الاجتهاد المطلق الذي تكلمنا على انقطاعه.

ولقد قال والدنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه «**مقاصد الشريعة الإسلامية**»: «لقد اشتدت الحاجة إلى اعمال النظر الشرعي والاستنباط والبحث عما هو مقصد اصلي للشارع وما هو تبع، وما يقبل التغيير من اقوال المجتهدين وما لا يقبله». وبين أن الطريق إلى ذلك هو جمع مجمع علمي يحضره من اكابر علماء كل قطر إسلامي على اختلاف مذاهب المسلمين ليبسطوا بينهم حاجات الامة ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعين عمل الامة عليه.

فها هو حاضر الاجتهاد اليوم بين يدي هذا المجمع الجليل، فاي طريق هو سالك إلى تحقيق ما لم يزل ينادي به المصلحون الصادقون في امر الاجتهاد؟

ان الطريق الاقوم إلى تحقيق تلك الغاية إنما هو الشروع في عمل علمي صحيح، يبنى- قبل كل شيء- على أن الذي يراد بعثه أو تجديده إنما هو اجتهاد حق، وليس نقضا للاجتهاد أو عبثا فيه. وذلك بتبصير الباحثين بان الاجتهاد حركة عقلية في أحكام الدين المشروعة لمصالح الامة، كما بيناه أوّل البحث، وليس الاجتهاد مجرد حركة عقلية تتجه مباشرة إلى المصالح، فنصوص الوحي هي مادة الاجتهاد الأولى، ومنها تستمد القواعد التي تكون مباني للانظار المتحرية تطبيق الدين على حياة العصر، بما يترجح به الظن انه مراد الله من مصلحة الامة اليوم. وإذا كان الاستنباط من الأدلة يعتمد -من جهة- على مسالك الاستدلال التي بحث فيها القدماء وتضمنها علم

أصول الفقه، فان تلك الجهة ليست إلا نصف أصول الشريعة فقط، كما بينه شهاب الدين القرافي أوّل كتابه في «الفروق»، وإما النصف الآخر فهو الذي ذكر القرافي انه لم يذكر منه شيء في أصول الفقه: وهي القواعد الفقهية الكلية.

ولعل مسالك الاستدلال المذكورة في أصول الفقه، الراجعة إلى مفاد الالفاظ، وما يعرض لها، وما يرجع إليها، لا تقتضي منا تجديدا كثيرا، وهي ليست الاهم من النصفين وقد جعلها الشاطبي خادمة للنصف الآخر. ولكن لنا في النصف الآخر: نصف القواعد، سبحا طويلا، لأنه- كما قال الشاطبي في المسألة الثالثة من كتاب الاجتهاد في «الموافقات» – مبني على فهم مقاصد الشريعة، وتلك المقاصد مبنية على اعتبار المصالح، والمصالح معتبرة من حيث وضع الشرع، لا من حيث مطلق ادراك المكلف.

قال الشاطبي: «فإذا بلغ الإنسان مبلغا يفهم فيه عن الشارع قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة وفي كل باب من ابوابها، فقد حصل له وصف هو سبب في تنزله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا» وقد خط الشاطبي – في كتاب المقاصد من الموافقات- بين يدينا منهجا واضحا في اعتبار المصالح، واقتضاء الشرع اياها، وطريق جلبها بالأحكام الشرعية، وان سبقه إلى الالمام بذلك الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في مقدمة «القواعد» ونجم الدين الطوفي فيما كتبه في «شرحه على الاربعين نووية»، على حديث «لا ضرر ولا ضرار»[1]وهو ما ابرزه في عرض وتلخيص محكمين الاستاذ مصطفى زيد في رسالته التي احرز بها درجة الاستاذية في الشريعة من كلية دار العلوم. وبناء على مراعاة المصالح التي قصد الشرع إلى اجتلابها، بعد ضبطها وتفصيلها يقع تقرير القواعد الكلية التي نوه بشأنها القرافي.

وهذه القواعد قد سبق الاعتناء بها من قديم من فقهاء المذاهب الاربعة، فألف فيها القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، في القرن الخامس، كتابا، سماه «الجموع والفروق» لم نقف عليه، ولكن ذكره تلميذه مسلم بن علي الدمشقي في كتابه «الفروق» وهو كتاب توجد نسخة مخطوطة منه أو من مختصر له في خزانة جامع الزيتونة الاعظم بتونس. وجاء عز الدين بن عبد السلام في القرن السابع فالف كتاب القواعد، وطبق فيه جزئيات المسائل معنى ابتناء الشريعة على جلب مصالح المكلفين. وتبعه تلميذه شهاب الدين القرافي فالف كتابه الشهير في «الفروق»، وابدع

(1) ابن ماجة (2341)، مسند احمد(2867)

فيه ما شاء.وألف في القرن الثامن زين الدين بن رجب الحنبلي كتابا في «القواعد»، رتبه على الابواب وفرع عنها جزئياتها وألف عالم فاس الكبير أبو عبد الله المقري كتابا في القواعد الضابطة لأوجه الخلاف.

وفي القرن التاسع الف أبو العباس الونشريسي التلمساني كتابا سماه القواعد أيضا جعله معاقد لمسائل الخلاف. وألف في القرن العاشر الشيخ زين الدين بن نجيم الحنفي كتاب «الاشباه والنظائر»، فجعله أصولا للمذهب الحنفي استنبطها من استقراء الجزئيات، وجعلها مدارا للاختلاف الاصلي بين المذهب الحنفي وغيره.

وهؤلاء الأئمة جميعا، وان ابدعوا في ابراز القواعد إلا انهم نظروا فيها إلى الناحية الاخلاقية، فمنهم من جعلها لضبط المذهب وتناسب فروعه: مثل القرافي وابن رجب، ومنهم من جعلها مرجعا لبيان مباني الاختلاف: مثل المقري الذي يقول في أوّل كتابه: «قصدت إلى تمهيد الف ومائتي قاعدة هي الأصول القريبة، لأمهات مسائل الخلاف المبتذلة والغريبة رجوت أن يقتصر عليها من سمت به الهمة إلى طلب المباني، وقصرت به الأصول عن الوصول إلى مكامن الفصول من النصوص والمعاني»، فإذا كان استقرائهم قد انتهى بهم إلى قواعد خلافية بين المذاهب، فان هذا الاستقراء لو سلط عليه استقراء لأمكن أن يستخرج به من تلك القواعد الجزئية قواعد اتفاقية، تكون أصولا مشتركة بين المذاهب، ومبان عامة للفقه الإسلامي من حيث هو، وبذلك نسمو عن النظريات الظنية إلى القطعيات اليقينية كما يريد الشاطبي من أصول الفقه، ولعله لهذا القصد وضع كتاب «الموافقات» في مقابلة كتب الفروق.

وقد حاول المروزي منذ القرن الرابع وضع هذه القواعد، ولكنه سما بها إلى الاصل العالي، فجاءت قليلة مجملة، وهي الاربعة التي في خاتمة كتاب الاستدلال من «جمع الجوامع»: «اليقين لا يرفع بالشك»، «والضرر يزال»، «والمشقة تجلب التيسير»، «والعادة محكمة».

ففي الوسط بين التفصيل النازل الذي درج عليه أصحاب القواعد والفروق، والاجمالي العالي الذي اعتصم به القاضي حسين، نجد القواعد الكلية القطعية، التي هي ملاك مقاصد الشريعة فنبعث بها النصف الثاني من أصول الفقه، ونجدد الاجتهاد الرشيد في افقه الأعلى، ونمكن للدين سلطانه على حياتنا بعد أن انفلتت عنه، والله المستعان.

الجسور الموصلة أو المعينة على الوصول للوحدة المنشودة والتعايش المرغوب[1]

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّة
رئيس منتدي السلم ـ أبو ظبي

إن أهمية الوحدة ومكانتها بالنسبة للمجتمعات الإنسانية عامة والمجتمعات الإسلامية خاصة، أمر أجمع عليه العقلاء والعلماء. والوحدة مفهوم إسلامي عظيم، يشمل بسماحته جميع دوائر الوجود الإنساني، ويغطي جميع العلاقات الفردية والجماعية والدولية، فالإسلام هو دين التوحيد ودين الوحدة، وحدة الشعور والشعائر.

إن الآيات في تأصيل الألفة والحث على الوحدة كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. أي قوتكم وجماعتكم ونصركم. وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ»، وقوله سبحانه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

فهذه أوامر بالاعتصام بحبل الله تعالى وإقامة دينه مقرونة بنواهٍ عن التفرق والنزاع مع التنبيه إلى النتائج الحتمية المتمثلة في الفشل الذي يعنى العجز عن الوصول إلى غاية هداية الخلق، وعمارة الأرض بالحق.

(1) كلمة فضيلة الشيخ عبد الله بن بيّة في مؤتمر الوئام والسلام الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة 1445 هـ/ 2023 م

والأمر بالوحدة هو في حد ذاته نهي عن التفرق، كما أن النهي عن الفرقة هو أمر بالوحدة، كما قرره الأصوليون:

والأمر بالشيء عن الضد زجر == والنهي عن شيء بضده أمر

إنّ هذه الوحدة لها أسسها الجامعة، ولها جسورها الممتدة من هذه الأسس والمؤدية إليها:

فالأساس الأول لهذه الوحدة هو شهادة التوحيد، شهادة أن لا إلهَ إلاَّ الله وأن مُحَمَّداً رَسُولُ الله.

فشهادة التوحيد هي المحطة الجامعة وهي أعلى درجات الوحدة التي تجمع كافة الطوائف والمذاهب الإسلامية على إله واحد، ورسول خاتم، وبهذه الشهادة تنبت شجرة الايمان، وعليها تبنى دعائم الإسلام، وبها ترجى النجاة في الآخرة، كما ورد في الحديث الصحيح « أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِه»، وجاء في الحديث «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ شَعِيرَةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ بُرَّةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ».

والأساس الثاني هو إقامة شعائر الإسلام الظاهرة التي يجتمع عليها المسلمون، كما جاء في الحديث الصحيح: «مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ». ففي هذا الحديث تنبيه على أن «أمور الناس محمولة على الظاهر دون باطنها، فمن أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك»، كما ذكره الإمام بدر الدين العينيفي تعليقه على هذا الحديث في عمدة القاري شرح البخاري.

إن هذا الحديث يعتبر أصلاً جامعاً وبرهاناً قاطعاً على استصحاب ظاهر أحوال الناس دون البحث في ضمائرهم ولا التفتيش عن سرائرهم.

فهذه هي الأسس الجامعة التي تنمو على ضفافها أزهار المحبة، وتنبثق من خلالها روح الأخوة الإسلامية: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ».

لكن كيف نصل هذه الأسس بجسور تجمع شمل الأمة وتلم شعثها؟

يمكن تصور عدد من الجسور الموصلة أو المعينة على الوصول إلى هذه الوحدة المنشودة والتعايش المرغوب.

الجسر الأول، أدب الخلاف وحسن التعامل مع المخالف،

روي أن الامام أحمد كان يقول: (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً).إن الاختلاف من طبيعة الناس وفطرتهم، فلا زال البشر يختلفون في الإدراكات ويتباينون في التقديرات والأذواق وهكذا تختلف رؤاهم وتصوراتهم ومشاربهم ومصالحهم.

أسباب الاختلاف:

ومعرفة أسباب الاختلاف يمكن أن تخفف من غلواء الخلاف، وتسهل الائتلاف، فإذا عرف السبب بطل العجب وارتفع الحرج.

وقد اجتهد العلماء في حصر هذه الأسباب، فذكر الشاطبي عن ابن السيد أن أسباب الخلاف ثمانية وأكثرها يرجع إلى الألفاظ، ومنها ما يرجع إلى الثبوت كمسألة علل الرواية، ومسألة الاجتهاد والأقيسة. واعتبرها ابن رشد الحفيد ستة، وذكر ابن رجب أربعة أسباب والحقيقة أن الموضوع تعرض له الكثير من العلماء فأفاضوا فيه وأفادوا إلا أن بعضهم فصّل وبعضهم أجمل، ولعل الاختلاف يرجع باختصار إلى أربعة عناوين:

أولا-اختلاف في دلالات الألفاظ وضوحاً وغموضا واعتبارا ورداً.

ثانيا-اختلاف في أدلة معقول النص التي ترجع إلى مقاصد الشريعة قبولاً ورفضاً.

ثالثا-اختلاف في وسائل ثبوت النصوص الشرعية ودرجات الثبوت.

رابعا-اختلاف في ترتيب الأدلة عند التعارض في سلم الاحتجاج قوة وضعفا.

وإن اتساع الصدر للاختلاف السائغ بين أهل الحق، وحسن أدب الخلاف مع الجميع، لا ينافي التشبّث بما يؤمن به المرءُ ويعتقده، فليس تنازلا عن حقيقة أو تجافيا عن حقّ، بل هو من مقتضى الإيمان، فلا تناقض بين الإثنين ولا تجافي بين القبيلين. فالجدال بِالَّتِي هي أحسن مع المخالف في الدين أصل ثابت، فكيف مع الموافق في الدين، وهو جدال وحوار مع من لم يظلم بنص القرآن ومع من ظلم باعتبار كون لفظ «الا» الوارد في الآية بمعنى «الواو» أي «والَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» كما يقول الشريف التلمساني في مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، وهو أصل

في اللغة العربية: وإن تكن إلا بمعنى الواو::فاعطف بها في قول كل راو-، كما في شعر المخبل القريعي:

وَأَرى لَها داراً بِأَغدَرَةِ الـــ سيدانِ لَم يَدرَس لَها رَسمُ
إِلّا رَماداً هامِداً دَفَعَت عَنهُ الرِياحَ خَوالِدٌ سُحمُ

وهو ما تدل عليه السيرة النبوية في صلح الحديبية.

نماذج من الاختلاف الحميد:

ومن أمثلة الاختلاف الحميد ما ورد في ترجمة التابعي الجليل زر بن حبيش «قال عاصم بن أبي النجود: كان أبو وائل عثمانيا، وكان زر بن حبيش علويا، وما رأيت واحدا منهما قط تكلم في صاحبه حتى ماتا، وكان زر أكبر من أبي وائل، فكانا إذا جلسا جميعا، لم يحدث أبو وائل مع زر « يعني: يتأدب معه لسنه». وأحسب أن العثماني والعلوي في ذلك العصر لا تعني الانتقاص من أي من الخليفتين الراشدين، بل مجرد المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

وقد قال الإمام مالك للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حين أراد حمل الناس على الموطأ -وهو كتاب مالك وخلاصة اختياره في الحديث والفقه – لا تفعل يا أمير المؤمنين معتبراً أنَّ لكل قُطر علماءه وآراءه الفقهيةِ، وذلك حرصا من مالك على بقاء الأمة على ما كانت عليه من تنوع في الآراء والاجتهادات.

وقال يونس الصدفي: (ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة).

ثانيا: مبدأ سد الذرائع وهو جسر من هذه الجسور، والأصل في سد الذرائع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. فالأمر قد يكون مطلوباً فإذا أدى إلى مفسدة سقط الطلب وحل محله النهي. ذلك هو الأصل الأكبر لسد الذرائع الذي توسع فيه بعض العلماء وبخاصة في المجالات الفقهية والفروعية وعلى الأخص الإمام مالك بن أنس والإمام أحمد بن حنبل، أما الشافعي وإن اشتهر عنه أنه لا يأخذ بسد الذرائع فهو في الحقيقة يأخذ به فيما كان منصوصاً عليه أو كان إفضاؤه إلى المفسدة قطعياً. والنظر إلى المآلات فرع من فروع سد الذرائع .ومحل إعمال سدّ الذرائع في بناء جسور الوحدة، هو إغلاق الباب أمام

المفاسد العظيمة الواقعة من كلام بعض المسلمين في بعضهم وبخاصة مع كثرة وسائل نشر المعلومات والتواصل وإذاعة ما يؤدي إلى التنافر والتباغض، فالأولى في هذه الحال أن يكون مبدأ الألفة بين المسلمين مقدما، وسد ذريعة التنافر والتباغض مطبقا وفق النهي النبوي الصريح الوارد في الحديث الصحيح «لاَ تقاطعوا ولاَ تدابروا ولاَ تباغضوا ولاَ تحاسدوا وَكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانًا».

الجسر الثالث هو القول اللين والشفقة على أهل الملة

وهذا الجسر يحمل المسلم على حسن الظن بالآخرين والتلطف في النصح ومحبة الخير للغير، قال تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وقد ورد في الحديث الضعيف أن فتن آخر الزمان يكون «اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ»، وفي ذلك تحذير من أثر الكلام وخطره وخاصة في زمن الفتن.

فالتلطف في القول وحسن الظن ولين الجانب والبحث للغير عن أقرب الأعذار أدعى لقبول النصح وأدوم للألفة.

الجسر الرابع: تفعيل الحوار

إن الحوار مؤصل من الشرع وهو مصلحة إنسانية؛ ولذا أمر به الباري عز وجل فقال «وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وبالحوار يتحقَّق التعارف والتعريف، التعرف على الغير والتعريف بالنفس. وقد أَصّل الإسلام للحوار، وجعله مبدأ أساسياً للتواصل مع الآخر، القريب أو الغريب، المشابه أو المغاير .وعُبِّر عن الحوار في القرآن والسنة بعبارات متعددة تشير كلها إلى غاية واحدة، هي الفهم والتفهم، واستخدام الكلام بدلاً عن الحسام، والسلام بدلاً عن الخصام.

الجسر الخامس: تعزيز قيمة التسامح

وقد وُصفت الشريعة بأنها حنيفية سمحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بالحنيفية السمحة»، أي السهلة الميسّرة، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، بعيدة عن التشدُّد، مرفوع فيها الحرج. ويعبّر عن التسامح في القرآن الكريم بأربعة مصطلحات: العفو والصفح والغفران والإحسان.

ختاما، ومن خلال هذه الأدوات المتنوعة والجسور المتعددة يمكن أن نعبر إلى واحة التعايش الغناء وربوع الاخوة الفيحاء في ظلال الإسلام الوارفة ورحمته الشاملة.

وهذه الوحدة التي نتحدث عنها ليست وحدة طاردة بل تتعايش مع عموم البشر بمختلف أديانهم وأعراقهم على قاعدة المشتركات الإنسانية أو قاعدة المصالح التي بنى عليها العز بن عبدالسلام كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، وقال الشاطبي : «ان وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً» والسعي في الخير والبر ونشر السلام وإعلاء كرامة الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، والتعارف بين الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، وطبقاً لقانون المصالح والمفاسد الذي تشهد له عمومات الشريعة والسيرة النبوية الشريفة دون أن يعني ذلك تنازلاً عن العقيدة بل تنزيلاً للأحكام طبقا لسياقات الزمان والمكان...

ولعلنا نستذكر في الختام أبيات الإمام أبي محمد القاسم بن فِيرّه الشاطبي الذي تمثل روح هذا المؤتمر الجليل والتي يمكن أن نسميها بعنوان «دعوة للتسامح»:

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ ... يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمِلَا
وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسِيجَهُ ... بِالإِغْضاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلَا
وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ ... وَالأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلَا
وَإِنْ كانَ خَرْقٌ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ ... مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ
وَقُلْ صَادِقًا لَوْلاَ الْوِئَامُ وَرُوحُهُ ... لَطَاحَ الأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَا
وَعِشْ سَالِماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ ... تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلاَ

وهذا مؤتمر الوئام والسلام،

يسرني مرة أخرى أن أحيي جهود رابطة العالم الإسلامي بقيادة معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في التقريب بين المسلمين ومد جسور الوحدة والتعايش فيما بينهم، كما أتمنى لمؤتمرنا الذي يجمع بين شرف المكان والمكانة النجاح والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

زيارة الأعلام من الغربيّين إلى بيت الله الحرام ونبيِّ الإسلام عليه السلام

بقلم: الاستاذ صالح العَوْد

(باحث وكاتب)

ماذا تعني زيارة أمثال هؤلاء إلى الحرميْن الشريفيْن، بعد ما أسلموا، وهم كثر لا يأتي عليهم عدّ ولا حدّ؛ ثم ما معنى أن يقوم فضلاء منهم في تسطير «رحلتهم» المقدّسة، ويخلّدونها في كتاب، يحمل الوصف لتلك الأماكن المحدّدة، والوصْف بالكلمة، مشفوعة بالصّورة المهمّة، معبّرين فيه عن حبّهم العميق لشعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، ألا وهي فريضة الحج إلى بلد الله الحرام، وقد تكبدوا عناء السفر، ووعثاءه في زمن غير زماننا، الذي سهُلت وتسهلت فيه المواصلات، وتقاربت بها المسافات، ما أرى ذلك إلا الحبّ، والصفاء، ومتعة التنقل إلى مكان غير مكان اعتادوا الذهاب إليه، عِلما أن الغرْبيين جلهم أو بالأحرى كلهم أصحاب <<رحلات>> تعوّدوا على ذلك منذ الصغر.

وها أنا أذكر نماذج عالية، من سادَة القوم الأعلام الغربيين، الذين وصلوا إلى مكة والمدينة منذ زمن بعيد، وبعد عودتهم إلى أوطانهم ألّفوا رحلتهم ونشروها في كتاب مطبوع؛ وقد وقفتُ على بعضها، واقتنيتُها، ومن هذه الكتب العديدة:

1. كتاب الحج إلى بيْت الله الحرام، إتيان دِينِيه / طبعة باريس الأولى سنة 1930م.
2. رحلتي إلى مكة، جول كُورْ تالّمون / ط. باريس سنة 1896م.

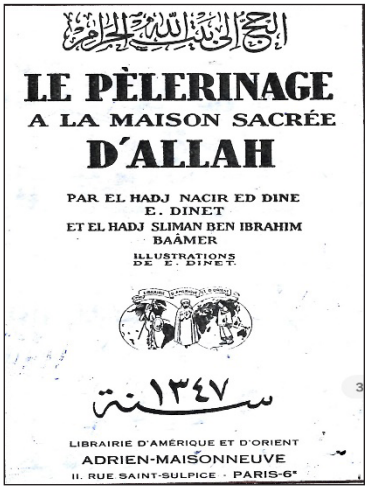

(أول من وثّق رحلته هذه بالصور الجميلة).

3. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام / محمد أسد؛ وله كتاب آخر سابق عليه، بعنوان: الطريق إلى مكة؛ والذي ذاع واشتهر وانتشر في العالم.

4. يوميات ألماني مسلم / مراد هوفمان / ط. مصر سنة 1993م.

وأنا أريد في هذا المقال الجميل لمجلة (جوهر الإسلام) الغراء، أن أخص كتاب الكاتب الفرنسي الشهير، إتيان دِينِيه، والذي أسلم سنة 1913م، ثمّ تسمّى باسم: ناصر الدين دِينِيه.

فإنه والحق يقال قد صدق في إسلامه، بل إنه بعدما توفي في باريس سنة 1929م أوصى أن يدفن في مدينة بوسعادة الجزائرية، طالما كان يتردد عليها كل سنة، ويبقى فيها ستة أشهر، من اجل أن يخلو إلى العبادة، ويؤلف الكتب، ويرسم أجمل لوحاته في حياته. لقد كتب أول ما كتب بعد إسلامه: ـ حياة محمد La vie de Mohammed

كتبه بالفرنسية متبوعا بصور جميلة جدا بريشته البارعة، وطبعه بباريس؛ ثم تولّى ترجمته إلى اللغة العربية، شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، وطبع في القاهرة.

ولمّا تقدّمت به السنّ، قام بأداء فريضة الحجّ إلى بيت الله الحرام، واصطحب رفيقه السيد سليمان إبراهيم الذي تعرف عليه في بلاد الجزائر، فترافقا صوب مكة والمدينة سنة 1927م، وقد استضافهما الملك عبد العزيز يومها بقَصْر الضيافة.

والكتاب أصْلا يحكي سفر رحلة الحجّ منذ البداية، انطلاقا من باريس (عاصمة الجمال والخلود كما يقال)، فسطر فيها أجمل الذكريات، وأنبل ما رأى وسمع، حبا وتقديرا وتفسيرا، معبّرا عن تشرفه بأداء مناسك الحجّ إلى بيت الله الحرام، ثم الزيارة إلى مدينة السلام، (المدينة المنورة)، والسلام على خير الأنام محمد رسول الله، عليه وآله الصلاة والسلام، والذي سبق له قبل أن يصل إليه بتأليف كتاب جليل في سيرته العطرة باللغة الفرنسية.

فرحم الله الحاج ناصر الدين دينيه، وأسكنه فسيح جنّاته.

لم تكن الإنسانية في عصر من عصورها بحاجة إلى هدي القرآن بمثل ما هي عليه اليوم[1]

بقلم فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر

وَصَفَ الله تعالى هذا القُرآنَ بأنَّه: «الكتابُ الحكيم»، وأنَّه: «الكتابُ المبين»، وأنَّه: «الحقُّ»، وأنَّه: «تبيانٌ لكلِّ شيءٍ»، وأنَّه: «هُدًى ورحمة»، وأنَّه: «لا ريبَ فيه»، وأنَّه: الكتاب الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فُصِّلَتْ: 42]، أنزله الله «بالحقِّ والميزان ليَحكُمَ بين النَّاس»، إلى صفاتٍ أخرى كثيرةٍ من صفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمال التي قدَّمَتْ هذا الكتابَ الكريم للنَّاسِ، وأغرَتْهم بتلاوةِ ألفاظِه وتَدبُّر مَعانيه، وكيف لا! والمتكلِّمُ به هو الله -سُبحانه وتعالى- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 87]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النِّساء: 122].. ومُبلِّغُه هو أفصَحُ النَّاس وأَبْلَغَهُم، وأعلمُهم بمَرامِي كلامِه، وأسرارِ فصاحته وبيانه..

لَعَلَّ الأحداثَ القاسية التي نعيشُها صباحَ مساءَ، تُثبت -دون أدنى ريب- أنَّ الإنسانيَّة لم تكُن في عصرٍ من عصورِها بحاجةٍ إلى هَدْي القُرآن الكريم، وهَدْي أمثاله، من الكُتُبِ المنزَّلة - بمِثل ما هي عليه اليوم، فقد أصبح واضِحًا أنَّ عالمنا المعاصر فَقَدَ القيادةَ الرَّشيدة الحكيمة، وراح يَخبِطُ خبطَ عشواء، بلا عقلٍ ولا حِكْمَة ولا قانون دولي، وباتَ يَندفعُ -بلا كوابحَ- نحوَ هاويةٍ لا يَعرِف التَّاريخ لَها مَثيلًا من قَبلُ .

(١) كلمة فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر في الاحتفال بليلة القدر ٢٧ رمضان ١٤٤٥ هـ/ ٦ أفريل 2024

وأنَّنا، بعدَ عُقودٍ من علاقاتِ الحوار الحضاريِّ بين الأُمَم والشُّعُوب، استبدلنا بها -وعلى نحوٍ مُتسارعٍ غريب- علاقاتِ الصِّدام والصِّراع، وسُرعانَ ما تحوَّل هذا الوضع البائس إلى علاقاتِ حروبٍ جائرةٍ وظالمة، ثم ما لبثت هذه الحروب أنِ اتَّخذت صورة بالغة الغرابة والشُّذوذ في تاريخ الحروب.. أبطالُ هذه الصورة قادَةٌ سياسيُّون وعسكريُّون، مِن ذوي القُلُوب الغليظة التي نَزَعَ اللهُ الرَّحمة من جميع أقطارها، يقودونَ فيها جيشًا مُدجَّجًا بأحدثِ ما تقذفُ به مصانعُ أوروبا وأمريكا من أسلحةِ القتل والدَّمار الشَّامل، ويُواجِهونَ به شعبًا مَدنيًّا أعزل، لا عهدَ له بقتالٍ، ولا بسَفْكِ دماءٍ بريئة، ولا بمرأى جُثَثِ الأطفال والنِّساء والرِّجال والمرضى، وهي مُلقاةٌ على قَوارعِ الطُّرقات أو مُغيَّبةٌ تحتَ أنقاضٍ ومَبانٍ مهدَّمة في الأزقَّةِ والحواري.. وكلُّ ما يَعرِفُه شعبُ غزَّةَ البريءُ البسيط، هو أنَّ أقدارَه شاءت أنْ يَلْقَى رَبَّه شهيدًا، وشاهِدًا على جرائمِ الإبادة والمحرقة الجماعيَّة، مِن طُغاةِ القرنِ الواحد والعشرين بعد الميلاد، والذي بشَّرونا بأنه: قرنُ العلم والتقدُّم والرُّقي، وقرنُ الأخلاقِ الإنسانية والحريَّة والديموقراطيَّة وحقوق الإنسان، وغير ذلك من الأكاذيبِ والأباطيل التي انطلَتْ على كثيرين مِنَّا، وحسِبوها حقائقَ ثابتةً مِن حقائق الأذهان والأعيان؛ فإذا هي اليوم، وكما يقولُ القرآنُ الكريم: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39].

وثالثةُ الأثافي: أنَّ المؤسَّساتِ الدوليَّةَ والمواثيقَ العالميَّةَ، وفي مُقدِّمتِها: مؤسَّسةُ الأُمم المتَّحِدَة، والإعلانُ العالمي لحقوقِ الإنسان، وغيرُهما من المنَظَّمات التي تتَعهَّد موادها الأولى بحفظ السَّلام والأمن الدوليِّين، ومبدأ المساواة بين الدول الأعضاء، وتحريم استخدام القُوَّة، بل تحريم مُجرَّدِ التَّهديد بها في العلاقاتِ الدوليَّة، والامتناعِ التَّام عن التَّدخُّل في الشؤون الداخليَّة للدول.. هذه المؤسَّساتُ تَقِفُ اليوم عاجِزةً، بل مشلولةً شللًا رباعيًّا أقعدَها عن تنفيذِ بندٍ واحدٍ مِمَّا تتعهَّد بتنفيذِه، ولطالما غُلِبَتْ على أمرِها، وعلى إرادتِها وقَراراتِها التي تَحْظَى بأغلبيَّةٍ ساحِقةٍ مِن الدولِ الأعضاء، بعدما تُجهضها تدخُّلاتٌ سافرةٌ من قُوًى مُستَبِدَّةٍ، مُدرَّبةٍ على كتمانِ الحقِّ حينًا، وإلباسِه ثوبَ الباطل حينًا آخَر، والغَطرسَةِ والجفوةِ والعجرفةِ أحيانًا كثيرة ..

والأَدْهَى من ذلك والأشدُّ مرارةً أنَّ تَدْخل القُوى الكُبرى شريكًا داعمًا بمالِه الوفير وأسلحتِه الفَتَّاكة لقُوَّةٍ غاشِمَةٍ، وهي تَعْلَمُ علمَ اليَقين أنَّها ستَسحَقُ به الضُّعفاء والمستَضْعَفِين من الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفال والمرضى، وتُجيعهم، وتُحيطهم

بضغوطٍ لا قبلَ لهم بها، حتى إذا ما خرجوا من ديارِهم وأموالهم، وهاموا على وجوهِهم في الطُّرقات صَبُّوا فوق رؤوسهم من عذاب الجحيم ما سيكتبه التاريخ بالدَّم وبالدمع في أسود صفحاته وأحلكها ظلمًا وظلامًا .

إنَّ حالة التَّنازُع والتَّفرُّق التي درجَ عليها أبناءُ أُمَّتنا العربيَّة منذُ أمدٍ بعيد، قد أصابَتْ الجميع بما يُشْبِه حالةَ «فُقدانِ التَّوازن» وهو يَتصدَّى لعظائم الأُمور، وأَعجَزته عن مُواجَهةِ أزماتهم المتلاحقة مُواجَهةً دقيقةً، ومَن يُدقِّقِ النَّظَرَ في خارطة وطَنِنا العربي والإسلامي؛ يَأسَى كثيرًا وطويلًا، لما آلَ إليه الحالُ في فلسطينَ، وغيرِها من دولٍ عزيزةٍ على قلوبنا، وسرعانَ ما يخلصُ إلى يقينٍ لا يقبل النقيضَ، هو: أنَّنا لن نستعيدَ قُدرتَنا على النُّهوضِ والتقدُّم ومُواجَهة أزماتنا مواجهةً مسؤولةً، وتجاوزِها إلَّا بتحقيقِ وَحْدةِ العرب، وتطبيقِ سياسة التكامُل الاقتصادي، وتغليبِ المصالح العامَّة، والاتِّفاقِ على رُؤًى مُستقبليَّة، وخططٍ مُشتركةٍ مدروسة وقابلةٍ للتنفيذ .

ويَنبَغي أنْ نتنبَّه إلى أنَّ تعامُلَنا مع قضية فلسطين والقُدْس الشَّريف لا يَعكِس حجمَ ما أَنعمَ اللهُ به علينا من ثَرواتٍ بَشريَّةٍ وطبيعيةٍ هائلةٍ، ومِن طاقاتٍ جَبَّارة لا تَنفَذ، ومن عقولٍ خلَّاقة في كلِّ ميادين الحياة المعاصرة: العِلميَّةِ والاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ، وقبل كل ذلك: مِن إيمانٍ راسخٍ باللهِ تعالى وثقةٍ لا تهتزُّ في رحمتِه بالضُّعفاءِ والمستَضعَفِين.. وأنَّه بالمرصاد للجبَّارينَ والمتكبِّرين، وأنَّه ليس بغافلٍ عنهم، وأنَّه يُمهلهم ويُمِدُّ لهم حتى إذا ما أخذهم فإنه لا يُفلتهم ..

ويَقيني إنَّ ما تَعجُّ به مَنطقتُنا اليوم من مآسٍ وآلام وأحزانٍ ومشاعر سوداءَ -يجب أنْ يُمثِّلَ نُقطةَ تحوُّلٍ حاسم بين عهدٍ عربيٍّ مَضى، وعهدٍ جديد تأخذ فيه الأُمَّةُ العربيَّة والإسلاميَّة بأسباب القُوَّة والمنعة المدعومة بالإيمانِ باللهِ تعالى، وبقِيَم الإسلام والأديان الإلهيَّة؛ وذلك كيما تستحقَّ مكانتَها اللائقة بتاريخِها وحضارتِها ..

ولا أسأَمُ من تكرار ما سمعتموهـ كثيرًا، مِن أنَّ الخُطوة الأولى الصحيحة على هذا الطَّريق هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، ومعنى: (فَتَفْشَلُوا) أي: «تَجْبُنوا»، ومعنى: (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أي: «تخورَ قُواكم وتَذْهبَ دُولكم، وتَبيدَ حضاراتكم .«

وأختمُ برجاءٍ، أتوجَّهُ به إلى سادتِنا عُلماءِ الأُمَّة، هو: أنْ يَنْهَضُوا -في غير إبطاءٍ- لتحقيق وحدةٍ عُلمائيَّة تجمعُ رموز الإسلام من سُنَّةٍ وشيعةٍ وإباضيَّة وغيرهم مِمَّن هُم مِن أهلِ القِبْلَة، يجتمعونَ بقلوبِهم ومَشاعرهم -قبلَ عقولِهم وعلومهم- على مائدةٍ

واحدةٍ؛ لوضعِ حدودٍ فاصلةٍ بين ما يجبُ الاتِّفاق عليه وما يصحُّ الاختلاف فيه، وأنْ نقتديَ في اختلافاتِنا باختلافِ الصَّحابة والتَّابعينَ، ذلكم الاختلافُ الذي أَثْرى العلومَ الإسلاميَّة، وحوَّلها إلى معينٍ لا ينضب من اليسر واللطف والرحمة، وأن نُوصدَ البابَ في وجهِ اختلافاتنا المعاصرة، التي أورثَتْنا الكثيرَ من الشِّقاقِ والنِّزاعِ والضَّغائن والأحقاد، وقدَّمَتْنا لُقمةً سائغة للأعداءِ والمتربِّصين.

وإنِّي لعَلَى ثقةٍ مِن أنَّ اتِّفاقَ عُلماء الأُمَّة سوف يُثْمِرُ بالضَّرورةِ اتِّفاقَ قادتها، وسوف يدفعُهم إلى تحقيقِ المصالح القُطْرِيَّة في إطارِ المصلحة العربيَّة والإسلاميَّة، وهُم قادرون على ذلك بفضلِ الله تعالى وعَوْنِه ..

من مؤلفات العلامة

فضيلة الشيخ عبد الله بن بية

(رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم
ورئيس مجلس الإمارات للافتاء الشرعي)

***تنبيه المراجع في تأصيل فقه الواقع**
*** مشاهد من المقاصد**
*** صناعة الفتوى وفقه الأقليات**
*** مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات**
*** سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات**
*** توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال**

إلى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم به فضيلته مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم.

بارك الله في جهوده وأمدّ في أنفاسه ونفّع بعلمه الأمة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

من أدوات النظر الاجتهادي المنشود المطلب الخامس: الأداة الخامسة: معرفة علم الخلاف

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الامين العام لمجمع الفقه الاسلامي الدولي ـ جدّة

إن اعتدادنا بهذه الأداة والتي نعدها ضمن أدوات النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر يعود إلى كونها إحدى الادوات الضرورية التي تعين على تحقيق إحدى غايتي النظر الاجتهادي المتمثلتين في حسن فهم النصّ الشرعيّ وفهم الواقع الانساني وحسن تنزيل معاني النص على الواقع المعيش، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإنه من المعروف أن المناهج والمعارف البشرية الاجتهادية تتطور وتتكامل مع مرور الزّمن وتبدل الأحوال وتغير الأدوات والأدوات المعينة على الفهم والتدقيق، ولذلك، فإنه حري باللاحق أن يبني على السابق الذي أثبتت الأيام صلاحيته ومقدرته على الإسهام في توجيه أزمات الحاضر ومشاكله، كما أن على اللاحق أن يستأنس ويستفيد من تجارب وخبرات السابق إن أراد تواصلا مع ماضيه واختصارا لجهوده فيما أفاض فيه السابق وأجاد.

ولهذا، فلا بُدّ للنظر الاجتهادي المتجدّد اليوم من التواصل والتكامل والاستفادة من الجهود والخبرات والأدوات المعرفية التي ابتكرها الأئمة السابقون واستخدموها في اجتهاداتهم في فهم النصوص وفي تنزيل معانيها على الواقعات، فالغاية التي كانوا يستهدفونها من وراء ذلك، لا تزال قائمة حتى هذه اللحظة، مما يجعل الاستئناس

بمنهجياتهم وحسن الاستيعاب لها خير معين للفرد على تحقيق غايتي النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر.

إن تلك الجهود العلمية المخلصة الجبّارة التي حاولت ذات يوم التوصل إلى فهم سديد للمراد الالهي من نصوص وحيه الكريم، لا ينبغي تجاهلها ولا الاستخفاف بها، كما لا ينبغي تقديسها ولا الارتقاء بها إلى مستوى نصوص الوحي المقدسة، وإنما بدلا من كلا الاتجاهين، ينبغي الاستئناس والاستفادة منها. ولهذا، فاعتدادنا بعلم الخلاف أداة من الادوات المؤهلة للنظر الاجتهادي ينطلق من ايماننا وقناعتنا بضرورة الاستفادة والاستئناس بسائر المعارف البشرية وخاصة منها تلك التي حامت حول فهم النص الإلهي الثابت، أو تلك التي رامت الكشف عن وسائل تفعيل الواقع الانساني بإلزامات الوحي وتعليماته السديدة السامية.

وعليه، فإننا نعتقد أنه كلما تمكن المرء من الإشراف على تلك المنهجيات والوقوف على ايجابياتها وسلبياتها، كان نظره الاجتهادي متسما بالدقّة والعمق والأصالة والمتانة والمعاصرة، وذلك بسبب الجمع بين أكثر من منهج هادف ذي أهداف وغايات مماثلة وعليه، فإنه يمكننا أن نحدّد مرادنا بهذه المعرفة بأنه عبارة عن:

العلم بمجموع مناهج واصول الاستنباط والاستدلال التي استخدمها الائمة المجتهدون الأولون في فهم الوحي كتابا وسنّة وفي تنزيل معاني الوحي في واقعهم.[1] فالهدف من الاعتداد بهذه المعرفة حثّ المتأهل للنظر الاجتهادي على الاستفادة والاستئناس بتلك المناهج والأصول عند همّه بممارسة النظر الاجتهادي المتجدّد في فهم الوحي أو في تنزيل معانيه في الواقع المعيش، وليس المقصد

(1) ثمة بعض الكتاب المعاصرين عرّفوا علم الخلاف بأنه العلم الذي يقتدر به على حفظ الأحكام الفرعية المختلف فيها بين الأئمة أو هدمها بتقرير الحجج الشرعية وقوادح الأدلة. وهذا التعريف هدفوا منها ابراز الفرق بين علم الخلاف وبين ما يعرف اليوم بالفقه المقارن بانه جمع الآراء الفقهية وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها وترجيح بعضها على بعض. انظر الفقه المقارن أ.د محمد رأفت عثمان، ود. أنور دبور، ود. رمضان الشرنباصي (بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، طبعة أولى 1989م) 21 بتصرف

وعلى العموم، فإننا نروم بعلم الخلاف في هذا المقام ما ورد في التعريف السابق، فعلم الخلاف المراد لنا في هذه الدراسة هو العلم الذي يعني بإبراز مناهج واصول الاستنباط والاستدلال المعتبرة عند الائمة الذين كانت لهم مناهج خاصة في فهم نصوص الوحي كتابا وسنة. فالاطلاع على تلك المنهجيات والطرق معين على حسن التعامل مع النص وفهم المراد منه. فليتأمل!

تقديسه تلك المناهج والأصول واتخاذ نصوصها نصوصا مقدّسة منضافا إلى النصّ القرآني أو النبويّ.

وبناءا على ذلك، فإن على المتأهل للنظر الاجتهادي النظر في تلك المناهج والأصول «لتخدم فكره، لا لتستعبد أفكاره، إذ أنه متى استأسرت القواعد الافكار، بان خطأ النظر، ذلك انه متى اقتصرنا في تعليماتنا على ما أسّسه لنا سلفنا ووقفنا عند ما حدّدوا، رجعنا القهقري في التعليم والعلم، لأنّ اقتصارنا على ذلك لا يؤهلنا إلا للحصول على بعض ما أسّسوه، وحفظ ما استنبطوه، فنحن قد غلبنا بما فاتنا من علومهم ولو قليلا. أما متى جعلنا أصولهم أسسا نرتقي بالبناء عليها، فإنّا لا يسوءنا فوات جزء من تعليماتهم، متى كنا قد استفدنا حظا وافرا قد فاتهم..»[1]

وعليه، فإنّه لا مرية أنّ العلم بتلك المناهج والأصول سيُقصّر للمتصدي للاجتهاد الطريق، ويُذلّل له كثيرا من الصعاب بحيث لا يُفني عمره في إعادة عقارب الساعة، وتوليد اجتهاد جديد في كل جانب من جوانب الحياة، كما أن هذا العلم يعصمه من التسرع في تسليط سيف الإجماع على الاجتهاد المخالف، ويقيه شرّ الاستبداد باجتهاده، والنظر اليه كأنه منزّل من لدن رب العرش، ويهديه بعد كل ذلك إلى الانسجام مع الاجتهادات المغايرة والمخالفة لاجتهاداته، وترجيحاته، فهو «..لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة، وأدلتهم، ومران المطالعين له على الاستدلال عليه..»[2]

وعلى العموم، فإننا نرى تجاوز بعض الدعوات غير العلمية التي تظهر بين الفينة والأخرى وتدعو إلى العودة المباشرة في هذا العصر إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية الطاهرة، بغية الاخذ منها فهما جديدا يناسب حالنا ومقاسنا، وان يطرح جانبا ما فُصّل من الاحكام والأفهام على قدّ ومقاس من قبلنا معلّلين هذا التوجه بالقول أن الأخذ بتلك الأثواب –الأحكام والأفهام– تحتاج منّا إلى إتعاب أنفسنا كثيرا في تعديلها وتنقيتها، وتهذيبها، وتضييقها أو توسيعها حتى تغدو مناسبة لنا!

إننا نرى أن دعوة كهذه تنبئ عن عدم اطلاع وعدم إدراك، لما تتميّز به العلوم والمعارف الانسانية من حاجة إلى التكميل والتطوير والتعديل والزيادة والحذف،

(1) انظر الميساوي، محمد الطاهر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة (البصائر للانتاج العلمي..طبعة أولى 1998م) 22-21 بتصرف
(2) انظر مقدمة ابن خلدون 457

فالمعارف البنّاءة المنتجة تبنى على ايجابيات المعارف السابقة، وتستفيد من نتائجها المؤكدة، وليس من الممكن بأيّ حال من الأحوال أن تنشا معرفة بعيدة الصلة والارتباط بما سبقها من معارف، ولذلك، فإن افتراض القدرة على الاستغناء الكلي عن كل معرفة قديمة سابقة لا يعدو أن يكون افتراضا خياليا غير علمي ولا منطقي، ويأباه واقع المعارف الانسانية برمتها.

ولهذا، فإننا نؤمن ايمانا مخلصا بأن «..معرفة المذاهب، ودراسة أحكام الفقه مربوطة باصولها، مما يخطو بالعالم في سبيل الاجتهاد خطوات سريعة، لولا دراسة الفقه على هذا الوجه لأنفق في بلوغها مجهودا كبيرا، وزمنا طويلا. ثم إنه يامن العثار، والخطا في الفتوى أكثر مما إذا لم يدرس أقوال الأئمة من قبله..»[1]

فتحصيل الدربة على النظر الاجتهادي، وتكوين الملكة الاجتهادية القادرة على حسن تصوير وتجسيم معاني نصوص الوحي كتابا وسنة لا يمكن أن يتاتيا للمرء ما لم يكن له إشراف دقيق على ما ولّده مجتهدون قبله، وإلمام كاف بما أصّلوه من مبادئ وقواعد، فلا بُدّ له من أن يتعرف على مداركهم وعلى مآخذ أقوالهم وعلى مناهجهم سواء في الاستدلال أم في الاستباط دون جمود على منهج من المناهج، أو العكوف على قاعدة من القواعد، ومن دون تقديس لاجتهاد، أو لرأي، ولكن استئناسا واستفادة من الآخرين، إذ في ضوئهما الاستئناف والاستفادة من خيرات الآخرين ومعارفهم يهون عليه التخير والترجيح بين المناهج التي يراها أولى بالاستعانة في حسن إدراك مرامي ومقاصد النص الشرعي.

ولهذا، فإن جمهرة غفيرة من سلفنا الصالح رحمهم الله وبعض علمائنا المعاصرين قد عنوا بالتنصيص على ضرورة واهمية هذا العلم للمتصدي للاجتهاد، ونفوا العلم عمن لم يطلع على اختلاف العلماء، وأسبابه، فأثر عنهم أقوال في هذا الشأن كقول بعضهم «..من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالما..» و «لا ينبغي لأحد أن يفتي للناس حتى يكون عالما باختلاف الناس، فإن لم يكن كذلك، ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه..» و «أجسر الناس على الفتوى أقلّهم علما باختلاف العلماء..»[2] وقد لخص الاستاذ المودودي رحمه الله أهمية هذا العلم لمن يروم الاجتهاد في

(1) انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان محمد الخضر حسين (...طبعة 1971م) 11، وانظر الاجتهاد في الشريعة الإسلامية يوسف القرضاوي 55

(2) انظر جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر 2/ 46

فهم الدين، وأنّ عليه «.. الوقوف على تراثنا القانوني الفقهي الذي ورثناه عن فقهاء السلف، والحاجة اليه ليست للتدرب على الاجتهاد فحسب، بل هي كذلك لاستمرار الارتقاء القانوني، لأنه ليس ولا يسوّغ أن يكون المقصود بالاجتهاد أن يهدم كل جيل جديد ما بناه سلفه، أو أن يحكم عليه بالبلى، ويشرع في بنائه من جديد..»[1]

إن هذا كلّه يدلنا على ما لهذا العلم من اهمية وما يلعبه من دور في تيسير التوصل إلى غاية النظر الاجتهادي ولذلك كانت لهم تلكم العبارات المخلصة، والنصائح الهادفة البنّاءة. وتمكن اهمية هذا العلم في دوره في تيسير التوصل إلى الغاية من هذاالاجتهاد في كونه العلم الذي يمثل الجانب العملي لعلم الأصول، نعني أن علم الاصول على الرغم من تشعب مباحثه، وكثرة فروعه غير انه يظل علما يغلب عليه الجانب النظري اكثر من الجانب العملي، الأمر الذي يمكن اعتبار هذا العلم بالخلاف بحق الجانب العملي الناتج من علم الأصول، ويعني ذلك انه يعتبر ثمرة من ثماره التي ينبغي أن يملأ المتصدّي للاجتهاد جعبته من كنوزه واصوله ومباحثه، فيقصر على نفسه طول المسافة، وبعد المشقة.

وعلى كلّ، يمكننا أن نتساءل بعد تعرفنا على اهمية هذا العلم ودوره في المساعدة على التوصل إلى معاني نصوص الوحي من كتاب وسنة على القدر المطلوب احكامه والاحاطة به في هذا العلم. وإننا نرى انه يمكن ضبط ذلك القدر بالاشراف على مناهج المجتهدين السابقين في الاستدلال والاستنباط (2) والاطلاع الكافي على اسباب اختلافهم وطرق تعاملهم مع نصوص الوحي: كتابا وسنة بغية الاستفادة من الجوانب الايجابية التي يتميز بها منهج كل منهم في بناء اجتهاد جديد أو ترجيح اجتهاد على آخر على ضوء عصره وبيئته. فهذا القدر كاف في نظرنا في مساعدة جامع ادوات النظر الاجتهادي المنشود الثلاث على التوصل إلى الغاية من هذا الاجتهاد في اقرب طريق.

---

(1) انظر مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة للمردودي مرجع سابق 196

(2) كثيرا ما يخلط بعض الناس بين مناهج الاستدلال ومناهج الاستنباط، ويعدونهما امرا واحدا، والحال انهما امران مختلفان، أعني ان مناهج الاستدلال يراد بها في نظرنا الأسس المنهجية التي يعتمدها عالم في الترتيب بين الأدلة المختلفة، وتقديم دليل على آخر بناء على قوته ورجاحته. واما مناهج الاستنباط، فهي الأسس المنهجية التي يتبعها عالم في استخراج حكم من الأحكام من ثنايا نصوص الوحي كتابا وسنة ويعني هذا ان مناهج الاستدلال حاكمة على مناهج الاستنباط باعتبار ان الاستنباط يتم بعد الاستدلال أي بعد تبيين مراتب الأدلة!

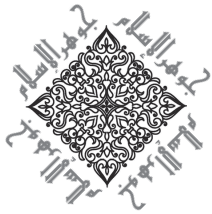

في رياض السنة

الحديث التاسع والعشرون
طـــريق الجنة

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا : «تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ «يعملون»، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو أيضا راوي الحديث المشهور الذي يستدل به أن الإسلام دين الاجتهاد فقد أجاب معاذ رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله بماذا ستحكم؟ فقال: بكتاب الله قال فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله قال وان لم تجد قال اعمل رأيي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يرضي الله».

في هذا الحديث يبدأ معاذ بن جبل رضي الله عنه بسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمل إذا عمله يكون سببا في دخوله الجنة ويبعده عن النار، وهذا السؤال من معاذ فيه تعبير عما يخالج قلب كل مؤمن وها هو ذا معاذ بن جبل يبادر بإلقائه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والواقع أن كل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين وكل ما نهاهم عنه يحقق هذه الغاية وهذا الهدف والمبتغى لكل مسلم والذي هو دخول الجنة والبعد عن النار.

فما أراده معاذ بن جبل إنما هو عمل يكتفي به ويختصر به المراحل فيتوجه إلى القيام به.

العمل وحده لا يدخل الجنة

ولا شك أن المؤمن يعتقد ان عمله مهما كان لا يمكن إن يكفل له دخول الجنة والبعد عن النار فقد ورد في الحديث الشريف «**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**» وهذا لا يتنافى ولا يتناقض مع قوله جل من قائل «**وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**» وقوله تعالى «**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**» فالعمل الذي يدخل الجنة هو العمل المقبول فالله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.فالعمل الخالص المتقبل هو الذي يدخل الجنة بإذن الله وبرحمته الواسعة.

فاعمال الإنسان مهما عظمت وكثرت لا يمكن إن تكافئ نعمة واحدة من نعم الله سبحانه وتعالى كنعمة البصر مثلا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله**» نعم انه لعظيم فدخول الجنة والبعد عن النار يقتضي عملا كبيرا خالصا لوجه الله ولكم الله الذي هو على كل شيء قدير إذا أراد أن ييسر هذا الأمر فإنه ييسره يقول جل من قائل «**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**» فالله إذا وفق عبده فانه ييسر له كل صعب «**وما توفيقي إلا بالله**» يقول عليه الصلاة والسلام في الدعاء «**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا أنت تجعل الصعب إذا شئت سهلا**».

بدا عليه الصلاة والسلام بالجواب فقال:

«**تعبد الله لا تشرك به شيئا**» فعبادة الله هي علة وجودهم وهي سببها يقول جل من قائل «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**» وقال «**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل**

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا»«**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**» لأجل ذلك استحق أن تكون البداية بالأمر بعبادة الله وعدم الشرك به فذلك هو حجر الزاوية وهو المحقق لمرضاة الله ليدخل من شاء من عباده إلى الجنة ويبعدهم عن النار.

أركان الإسلام كفيلة بصلاح الإنسان

ثم يضيف عليه الصلاة والسلام فيقول «**وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت**» فهذه هي أركان الإسلام وهي حق الله على عباده فقد ورد في الحديث القدسي «**وما تقرب إلي عبدي بأفضل ممّا افترضته عليه**» وهذه الأركان إذا أداها المسلم مستوفية لشروطها مخلصا فيها لربه كفيلة بتحقيق مرضاة الله عليه فقد علق رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرار احد الصحابة بأنه لن يزيد عليهن «أي انه سيكتفي بأداء ما فرض الله عليه» قال عليه الصلاة والسلام «**افلح صاحبكم إن صدق**».

فالصلاة عماد الدين ومن أقامها فقد أقام الدين ومفلح من أدى صلاته بخشوع «**قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**» والصلاة هي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإذا صلحت صلح سائر عمله.

والزكاة هي تزكية وتطهير للنفس والمال «**خذ من أموالهم صدقة تزكيتهم وتطرهم بها**» «**قد افلح من زكاها**» فالزكاة إذا أداها المسلم مخلصا بها لوجه الله ويعطيها لمستحقيها من إخوته الفقراء المحتاجين فإنها كفيلة بجعل علاقاتهم ببعضهم يسودها الود والحب والأخوة «**الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**».

وصوم رمضان فيه تشبه بالملائكة وهو عبادة الإخلاص لله رب العالمين المستحق للنسبة لله «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا اجزي به**» إن الصوم مدرسة للصبر والتزكية والإخلاص. وصوم شهر رمضان شهر القرآن وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فمن صام رمضان إيمانا واحتسابا وصام ليس فقط عن الطعام والشراب بل صام عن كل ما يغضب الله من قول أو فعل اعد الله له أجرا عظيما فيغفر له ذنوبه ويمحو سيئاته ويتقبل دعاءه ويدخله جنته.

والحج إلى بيت الله الحرام بالنسبة للمستطيع «**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**» عندما يكون حجا مبرورا يخرج به الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه

والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة. والحاج يتعرض لنفحات ربه في يوم مشهود يوم عرفة و(الحج عرفة) ففي ذلك اليوم يتجلى الله على عباده ويقول لملائكته «**هؤلاء عبادي أتوني من كل فج عميق شعثا غبرا ألا أشهدكم أني قد غفرت لهم**».

أبواب الخير

ثم يمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا ومشوقا لصاحبه ولكل المؤمنين «**هل أدلك على أبواب الخير؟**» والجواب لا شك انه بالإيجاب فذلك ما ينتظره ويرغب في معرفته كل مؤمن تائق للإحراز على مرضاة الله طامع في دخول جنته مستعيذ بربه من جهنم وحرها يقول عليه الصلاة والسلام «**الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل**» ثم تلا «**تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ: «يعملون»**».

انه التدرج يمضي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاحبه معاذ رضي الله عنه ويمضي معهما كل مؤمن صادق راغب بإخلاص في الإحراز على مرضاة الله يتوق البلوغ إلى درجة القرب والحب هذه الدرجة التي بين سبيلها وطريقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه**».

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل صاحبه معاذا ويدلنا معه إلى أبواب الخير، أي الأبواب التي إذا طرقها المؤمن وقرعها يأتيه الخير العميم ويحصل على الثواب الجزيل وذلك عن طريق الإكثار من النوافل وهي كل ما زاد عن الفريضة في الصيام والصلاة والإنفاق.

فالصوم لله إيمانا واحتسابا هو علامة الإخلاص، والصائم عن الطعام والشراب وكل الشهوات الغريزية وعن كل ما يغضب الله من قول وفعل هو في حماية وحصانة الله لا يناله مكروه ولا يلحقه ضرر، فالصوم وقاية وحصانة وهو جنة مادية ومعنوية نفسية وكذلك الصدقة فإن الثواب عليها عظيم، فمن انفق من ماله إيمانا واحتسابا لا يبتغي من وراء ذلك جزاء ولا شكورا يبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن صدقته تلك تمحو خطاياه وذنوبه وشبه عليه الصلاة وسلم محو الصدقة للذنب بمفعول الماء في النار فكأن الذنب والمعصية نار لا تطفئها إلا الصدقة.

روي أن سعدا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «**أي الصدقة أعجب إليك قال : الماء، فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد**» وقد جعل الله تبارك وتعالى الصدقة على كل من يحس بالجوع والعطش «**قالوا يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم أجرا؟ قال في كل كبد رطبة اجر**» وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**من سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما اعتق رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياه**» وروى انس انه عليه الصلاة والسلام قال «**إن صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**».

وتوسيعا من الله على عباده لم يحصر الصدقة في الأباعد بل جعل ما ينفقه المسلم على أقاربه وأهله صدقة ينال عليها الأجر والثواب فقد اخرج الشيخان «**وانك إن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فم امرأتك**» واخرج الطبراني «**من انفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن انفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة**»

فضل قيام الليل

وارشد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه معاذا وأرشدنا معه إلى باب آخر من أبواب الخير وهو صلاة الليل وهي من أعظم القربات والطاعات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام**».

واليسير من القيام يتحقق به الامتثال وينال صاحبه ما أعده الله من الأجر والثواب إذ يحصل بصلاة ركعتين للخبر القائل «**من قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوّام الليل**» وخبر «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كُتِبَا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات**» وقد وردت في اجتهاد السلف الصالح في قيام الليل أخبار وقصص تبين مدى حرصهم رضي الله عنهم على إحياء الليل بالقيام فصدق فيهم قول ربهم «**تتجافي جنوبهم عن المضاجع**» فهم لا ينامون من الليل إلا قليلا «**يبيتون لربهم سجدا وقياما**»«**وبالأسحار هم يستغفرون**» «**وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا**» إنهم يتعرضون إلى نفحات ربهم وتجلياته إذ ما من ليلة وفي الثلث الأخير إلا وينادي مناد من عند الله «**هل من داع فاستجيب له؟ هل من صاحب حاجة فأعطيه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟**» كانوا رضي الله عنهم يجدون في صلاة

الليل وقيامه حلاوة فتراهم لا ينقطعون عنها ولا يتركونها في سائر أحوالهم في السفر والإقامة وفي الرخاء والشدة.

ثم يقول عليه الصلاة والسلام «**ألا أخبرك برأس الأمر الإسلام وعموده وذروة سنامه؟ قلت بلى يا رسول الله. قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**». إن الإسلام هو رأس الأمر وهو الدين الذي رضيه الله لعباده «**إن الدين عند الله الإسلام**» وهو الدين الذي دعا إليه كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام «**أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا اله إلا الله**» أكمله الله وأتمه على يدي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وبعثه به للناس أجمعين «**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**» وعمود هذا الدين الصلاة «**إن بين العبد والكفر ترك الصلاة**»**وهي** «**أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسد سائر عمله**» إنها علامة الإسلام والإيمان والمظهر الدال عليهما لا يحافظ عليها إلا مؤمن صادق ولا يتركها إلا هالك زائغ عن سواء السبيل والصراط المستقيم يعيش في ضلال وظلام حالك وفتنة عمياء نسال الله السلامة والهداية والحفظ من النار.

أهمية الطاعات

وقد وردت في تفضيل الطاعات أحاديث عديدة طورا تقدم الصلاة وطورا تقدم الجهاد وطورا تقدم بر الوالدين وطورا تقدم الصدقة وهي غير متعارضة ولا متضاربة وإنما هي إجابات من رسول الله صلى الله عليه وسلم تتناسب مع أحوال السائلين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بما علمه ربه وبما أوحى به إليه طبيب قلوب المؤمنين يعطي لكل صاحب علة ما يناسب علته ويشفيه من مرضه وقد وردت في فضل الجهاد أحاديث عديدة منها قوله عليه الصلاة والسلام «**الجهاد سنام**» و«**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**» و«**ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا**» والجهاد هو نصرة الحق والخير والدفاع عن الدين والعرض والمال والأهل والوطن، الجهاد هو إعلاء لكلمة الحق لا مجال فيه للظلم والعدوان والسفك والدماء والنهب والتسلط على رقاب العباد، فليس ذلك من دين الإسلام ولا هو من الجهاد الذي دعا إليه الإسلام، إن الجهاد إعلاء لكلمة الله وكلمة الله هي الخير كل الخير في كل مجالاته وميادينه، ولقد ظلمت كلمة الجهاد والصق بها ما ليس منها فالإسلام دين الأمن والسلام والحرب لا تكون إلا عند الضرورة «**وان جنحوا للسلم فاجنح لها**» «**ادخلوا في السلم كافة**»، إن الجهاد تضحية بالنفس والنفيس وفداء ابتغاء لوجه الله وإحراز مرضاته سبحانه وتعالى

ولذلك اعتبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الذروة والسنام وقد اعد الله للمجاهدين في سبيله أجرا عظيما «**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**» ومن يستشهد من المجاهدين هو حي عند ربه «**أحياء عند ربهم يرزقون**».

حفظ اللسان ملاك الأمر

ويختم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بقوله «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا رسول الله فأخذ لسانه وقال : كف عليك هذا، قلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**».

وقد قيل المرء (بأصغريه قلبه ولسانه) واللسان هو الترجمان لما في القلب واللسان هو الذي به يتكلم الإنسان و(في البدء كانت الكلمة) والكلمة كالشجرة منها الطيب ومنها الخبيث الكلام فعل وعمل يحاسب عليه المسلم ولذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام الذي يغضب الله قال عليه الصلاة والسلام «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» وحذر من الكلمة التي يلقي بها صاحبها لا يأبه بها تهوي به سبعين خريفا في نار جهنم.

لذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حفظ اللسان وكفه عن أن يؤذي الناس ويلغو في أعراضهم مما يستهان به «**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**» فالكذب والبهتان والغيبة والنميمة والسب والشتم فكلّ ذلك من أعمال اللسان التي تأكل الحسنات وتأتي عليها كما تأتي النار على الحطب لذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ثكلتك أمك**» على صاحبه عندما استهان بما ينطق به اللسان واعتبره من البسائط والصغائر فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يضع النقاط على الأحرف وينبه إلى مخاطر اللسان إذا اطلقه صاحبه ولم يقيده بأحكام الشرع والأخلاق الكريمة «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» أي هل أكثر ما يدخل الناس في نار جهنم إلا ما تنطق به ألسنتهم مما يستهينون به وهو مهلكة نسأل الله تبارك وتعالى أن يخلّقنا بأخلاق الإسلام وآداب سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ويجنبنا زلات اللسان وهفواته وسقطاته انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

رسالة في التصوّف

كتاب تضمن ذكر مراتب الناس في الصبر والرضى عند نزول البلايا بهم لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء

مَحمد ابن عبّاد الرندي النفزي ثم الفاسي المعروف بشارح الحكم (733ـ792) الرسالة السابعة من الرسائل الصغرى

بعناية: الأستاذ عبد الهادي هنركامب

الحمد لله وحده. وقد بلغني كتابكم وأنتم تذكرون فيه مسألة الصبر على البلاء وأنّكم اختلفتم فيها. وليس في ذلك اشكال ولا ما يوجب الاختلاف. فإنّ الصبر على البلايا مقام من مقامات اليقين، وهو تابع لـــه في القوّة والضعف والزيادة والنقصان. والصبر عبارة عن حبس النفس عن تعاطي أفعال وأقوال إختيارية مضادة للشريعة والحقيقة، موافقة للجبلة والطبيعة. ولا يتأتى ذلك على الوجه المطلوب إلّا لمن قوي يقينه وضعفت صفات نفسه. وأمّا مَن كان في نـهاية ضعف اليقين وقوّة صفات النفس، فلا يقدر على ذلك ولا يدوم عليه، بل يسترسل على مقتضى طبعه بلا رادع ولا مانع حتّى ربّمـا قارب الكفر – والعياذ بالله – وهو نسبة الله تعالى إلى الجور.

وتتفاوت مراتب الناس بين هذين المعنيين تفاوتا لا ينحصر كما يتفاوتون في اليقين. فمن قوي يقينه جدّا لم يجد لِمَا أصابه من البلاء ألـمًا، بل ربّـمَا استحلاه واستطابه. وهذا من أعلى مقامات المحبّة والرضى. كما روي عي سرّي السقطي قيل لـه: «هل يجد المحبّ طعم الألم؟ فقال: لا، قيل: وإنْ ضرب بالسيف؟ قال: وإنْ

(1) محمد بن عبّاد الرندي، الرسائل الصغرى ، الدراسة والتحقيق بولس نويا (بيروت: دار المشرق، 1974)، 91 – 114.

ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة.» ودون ذلك أنْ يستحليه بقلبه ويجد ألمه بجسده، كما قيل: «الرضى سرور القلب بمرّ القضاء.» وقال أبو يعقوب النهرجوري: «إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنـده نعمة والرخاء شدّة.» ودون ذلك أنْ يستوي عنده وجود ذلك وعدمه. فإنْ اعتراه ضعف في يقينه انحطّ عن هذه المراتب. فيضيق صدره لعدم الِانشراح المستفاد من نور اليقين، فيؤدّيه ذلك إلى الشكوى والجزع. ولقد عدّوا من ضيق الصدر قول العبد عند البلاء: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله». وهذا من سيّئات المقرّبين التي هي من حسنات أصحاب اليمين. وعدّوا أيضاً أنين المريض من الشكوى، وجعلوه مِمّا يكتب على العبد. وقد كان طاووس يكره الأنين في المرض. ويروى في بعض الأخبار أنّ زكريا – عليه السلام – لـمّا وضع على رأسه المنشار أنَّ أنة، فأوحى الله تعالى عليه: «إنْ صعدت إليّ منك أنة أخرى لأقلبنّ السموات والأرض بعضها على بعض.»

فإنْ حبس الإنسان نفسه عن هذه الأمور وعن الإخبار ببليته، على سبيل الِاستراحة إلى الشكوى، كان صابرا صبرا جميلا. حسبما ذكره الله تعالى في كتابه مخبرا عن نبيّه يعقوب – عليه السلام – في قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف: 84] قيل: هو الذي لا شكوى فيه ولا إظهار. فإنْ واقَعَ هذه الأشياء، وكفّ نفسه عما وراء ذلك من كثرة التشكي وإظهار التسخط ومجاوزة حد العلم وإظهار التبرّم والذمّ، كان لـه مقام في صبر ولكن ليس بمقام الخصوص. فإنْ صدرت منه هذه الأشياء كلّها، كان خارجا عن حدود الصبر بالكلّية، داخلا في ضدّه وهو الجزع. فإنْ شاهد قبح فعله وراض نفسه على الكفّ عنه، وكان عنده في ذلك تكلّف، كان متصبرا : وهو التعمّل للصبر كالتزهّد وهو التكلّف للزهد. وليس بعد ذلك مقام يذكر ولا حال يغبط.

وحاصل هذا إنّ وجدان الألم لا يناقص الصبر إذ لا اختيار للعبد فيه، والعمل الِاختياري الذي اقتضاه وجدان الألم مخالفا للشريعة والحقيقة يناقضه. إلّا أنه يقلّ ويكثر ويزيد وينقص على حسب مراتب اليقين. وهو في أصله على ثلاثة أوجه مذكورة في القرآن: علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين. ولكلّ من هذه الوجوه مراتب لا تنحصر. قال بعض العارفين: «لا يستحقّ العبد اليقين، حتّى يقطع كلّ سبب بينه وبين الله من العرش إلى الثرى وحتّى يكون مراده الله لا غيره ويوثر الله على كلّ شيء سواه». وليس لزيادات اليقين نـهاية: كلما فهموا وتفقهوا في الدين ازدادوا يقينا على يقين. رزقنا الله منه الحظّ الأوفر بمنّه وكرمه.

قراءة في كتاب نولدكه عن «تاريخ القرآن» (القسم الأول)

بقلم الدكتور محمد المختار ولد اباه[1]

1 ـ نولدكه وكتاب «تاريخ القرآن» ومؤلفوه:

يعتبر نولدكه تيودور من اعلام المستشرقين البارزين امثال بروكلمان وفيتشر والنمساوي غولد تسهير. وقد ملأ نشاطه العلمي النصف الاخير من القرن التاسع عشر، وعقدا من القرن العشرين، وكتب بحوثا عن الأدب العربي واللغات السامية والأرامية بالخصوص واهتم بالتاريخ الفارسي وجغرافيته ولكن شهرته تعود إلى كتابه في تاريخ القرآن الذي كتبه حوالي 1859.

لقد اشترك في انجاز الكتاب جماعة من المستشرقين الألمان، وهم: تيودور نولدكه: مؤلف اصل الكتاب، وقد طلب من تلميذه وصديقه فريدريش شفالي (F.Swally) مراجعة الطبعة الثانية واطلع على ما تم في الجزء الأول منه، وأقرّه.

فريدريش شفالي، (F.Swally) تلميذ نولدكه الذي قام بتعديل شامل في هذا الكتاب عندما أعيد طبعه سنة 1909، تعديلا لم يترك من النص الأول إلا القليل، ولم يستطع نولدكه الاطلاع على ما تم تعديله في الجزء الثاني والثالث.

هاينرش تسيمرن (H.Tsimren)، وهو الذي أعد طباعة الجزء الثاني بعد وفاة شفالي سنة 1919، وذلك بمساعدة اوغيست فيشر (Fitsher). ويذكر هاينرش أن مخطوط هذا الجزء شمل ضميمة أشار إليها شفالي ولكنه لم يعثر عليها.

(1) رئيس جامعة شنقيط العصرية / موريتانيا

غوتهلف برغشترس، «Bergshässer الذي خلف شفالي استاذا في كونسبيرغ، وهو الذي قام بتأليف الجزء الثالث من الكتاب وفقا لرواية تسيمرن، وذلك بمشاركة انوبرستل.

انوبرستل الذي شارك غ.برغشترس في انجاز الجزء الثالث وأكمله سنة 1937 بعد وفاة شريكه «برغشترس».

ونظرا لتعدّد المشاركين في إنجاز هذا الكتاب، فإننا في عرض مواضيعه، لا نعزو لنولدكه سوى ما كان في الجزء الأول الذي أقرّ تعديله، أو ما في مناقشته لثلاثة من المستشرقين وهو موير وفايل وشبيرنغر لأن شفالي قال انه لم يُجر عليها أي تعديل.

أما ما يتعلق بالجزأين الثاني والثالث، فقد فضلنا العزو للكتاب دون ذكر احد المؤلفين الذين شاركوا فيه لأننا لا نعرف بالتحديد اسهام كل واحد منهم.

2ـ أهمية الكتاب:

لقد كان بلاشير يصف نولدكه بأنه شيخ المستشرقين في بحوث مادة القرآن. وقد التقط منه مُجمل آرائه التي بسطها في كتابه الذي عنونه **بمقدمة حول القرآن**، وفي الهوامش التي وضعها في ترجمته المعروفة.وقد اتبع نفس المنهج كتاب الموسوعة الإسلامية في إصدارها الأول والثاني، فأكدوا انه المرجع الأول في كل ما يكتبونه عن القرآن الكريم.

ولقد استند المستشرقون إلى كتابات نولدكه في مسألتين اثنتين إحداهما: التركيز على أن القرآن الكريم من إنشاء النبي صلى الله عليه وسلم، نتيجة رفضهم لظاهرة الوحي ولو أن الأدلة العقلية تعوز البرهان على هذا الرفض. الثانية: محاولة التشكيك في صحة توثيق المصحف العثماني وحشد كل الروايات الشاذة لهذا الرأي. كما أنهم لم يتابعوا نهجه في جانب آرائه التي يعترف فيها بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام في الايمان برسالته، وفي التصديق نبوته.

3 – الجزء الأول:حول أصل القرآن:

1 –رأي نولدكه في نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم :

بدأ نولدكه بالحديث عن نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: لا بد لنا من الاعتراف أن محمدا كان بالحقيقة نبيا، إذا فحصنا شخصيته بتجرد وتمعن وفهمنا

النبوءة فهما صحيحا. وإذا اعتبرنا المقياس الوحيد للنبوءة أن يأتي النبي بأفكار جديدة لم يسمع بها قط من قبل.

وهو يعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقرأ الكتب المقدسة من قبل ولكنّه قد سمع ببعض **تعاليمها من مصادر شفوية**. ويقول: «ان محمدا حمل طويلا في **وحدته ما تسلم من الغرباء** وجعله يتفاعل في تفكيره، ثم أعاد صياغته بحسب فكره حتى اجبره اخيرا الصوت الداخلي الحازم على أن يبرزه لبني قومه رغم الخطر والسخرية الذين تعرّض لهما ليدعوهم إلي الايمان، ما جعلنا نتعرف فيه على حماس الانبياء الذي يتصاعد على التشدد. وكلما ازدادت دقة تعرّفنا على المصدر الصحيح لمعرفة روح محمد، ألا وهو القرآن، ترسّخ اعتقادنا بان محمدا آمن في صميم نفسه بحقيقة ما دعا إليه، ليستبدل بعبادة العرب الكاذبة للاصنام دينا اسمى يمنح الغبطة للمؤمن».

والملاحظ هنا تناقض ما يقوله نولدكه من ادعائه أن النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بعض تعاليمه من مصادر شفوية وأعاد صياغتها، مع إقراره بحقيقة الوحي الذي اطلق عليه وصف: «الصوت الداخلي الحازم» وقد تنامى هذا التناقض لما عبر صراحة عن صدق ايمانه صلى الله عليه وسلم برسالته، وانه كان يستخدم وسائل سلطة القرآن في أمور لا علاقة لها بالدين، دون أن يدرك نولدكه شمولية الإسلام لكل مظاهر الحياة.

وفي معرض حديثه عن مصادر تعليم محمد صلى الله عليه وسلم، دحض نولدكه رأي شبرنغر(Sprenger)، في بحثه اليائس عن كتاب بعنوان «أساطير الاولين»، ورأي كليمان هوار (Clement Huart) في اعتبار شعر امية بن أبي الصلت من مصادر القرآن الكريم.

3ـ رايه في الوحي:

ذكر اولا حديث عائشة عن كيفية نزول الوحي، وتحدّث عن البرحاء عند نزوله، وأيّد رأي المسشرق فايل «إنها نوع من الصرع والاضطراب النفسي»، وشبهها بما ورد في إنجيل متى، الفصل 2، 4 في رؤيا Esdro. ولكنه خالف آراء فايل في قوله بتدخل شخص مخادع يلقي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما يريد، كما ينفي تأثير الراهب بحيرا في عملية التعليم. ويقول نولدكه: فبالرغم مما وصفه بأخطائه (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) فقد كانت حياته وإنجازاته تقوم على صدق رسالته غير المحدود. وهذا لا يعني أن نولدكه يؤمن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

ولكنه يعتقد جازما انه صلى الله عليه وسلم كان صادقا مع نفسه ومؤمنا برسالته ويقول انه اعلن عن سور أعدها بتفكير واع، وبواسطة استخدام قصص من مصادر غريبة مثبتة وكأنها وحي حقيقي من الله، غير انه زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفصل بين الروحانيات والدنيويات، فقال عنه إنه غالبا ما استخدم سلطة القرآن لفرض أمور لا علاقة لها بالدين وكأنه، وهو مفكر بسيط، لم يتوان باستخدام وسائل مرجوحة بما يسمى الخداع باسم الدين، وكأنه التمس له عذرا في قوله عن غيره من الانبياء: «لو عرفنا عنهم ما عرفناه عنه لفقد كثير منهم المرتبة الجليلة التي يتمتع بها».

ثم بحث كلمة «قرآن» وقال إنه لم يتأكد من أصلها، ويظن أن معناها مقطع للقراءة، ويرى أن أصلها من السريانية وكذلك كلمة فرقان. وذكر نماذج من وقائع نزل فيها الوحي على النبي ﷺ بإخباره ببعض المغيبات الظرفية كابتعاده عن الرجل الذي أراد قتله بحجر، ونزول توبة أبي لبابة. ويزيد قائلا: «إن مثل هذه الأمثلة، وهي كثيرة جدا، حتى ولو اعتبرت من قصص الخرافات، لا تترك لنا بدا من أن نتمسك بأن هذه الأحداث والأقاويل ترسم على العموم صورة صحيحة عن الأمزجة والأوضاع النفسية التي كان بها محمد صلى الله عليه وسلم. ومن صفة الأنبياء كما يعلمنا تاريخ الأديان أن يكونوا على اتصال شبه دائم بالألوهية وأن يصغوا إلى ما يوحى إليهم، ليس فقط بأعمال عظيمة ومهمة، بل أيضا في أصغر أمور الحياة اليومية التي لا تُحصى.»

ويعترف نولدكه بامر مهم، وهو أن الرسول عليه الصلاة والسلام وإن كان تحت تأثير ايحاءات غير قرآنية، كان له الفضل في تماسك النقل القرآني، بصفة وثيقة صادقة غير محرّفة للإرادة الإلهية في مواجهة كتب اليهود والنصارى، لذا فإنه اهتم بالتشبث الخطي بما أوحي إليه به ليحفظ من الاندثار والتحريف، **وهذا الاعتراف يتضمن الفروق التي لم يلاحظها المستشرق في التباين بين اسلوب الآيات القرآنية ونصوص الأحاديث سواء أكانت نبوية أم قدسية.**

وتحدث المؤلف عن اسلوب القرآن والعمل على توفيق آياته للقافية السجعية في أواخر الجمل. وأعطى مثلا في سورتي الرحمان والواقعة اللتان قال انهما تحملان آثار عمل فني وأدبي ذي توزيع دقيق، واستعمال ماهر لمحسّنات الاسلوب الخطابية وقياس متعمد لطول المقاطع المفردة.

ومن جهة أخرى يلاحظ نولدكه تفاوتا كبيرا وكثيرا من الحرية في ترتيب النص بحيث يستبعد وجود بنية مقاطع شعرية بالمعنى التقني للكلمة، ولكنه يقول أن القرآن خطابي الطابع أكثر مما هو شعريه.

ثم تناول حديث الأحرف السبعة زاعما انه من اختراع علماء المسلمين لتبرير كون المجموعة الأولى من الرواية القرآنية تتضمن سبع لهجات عربية، وان الرواية العثمانية اعتمدت لهجة واحدة هي لهجة قريش. والملاحظ أن هذا الراي يختزل امرين مهمين من الناحية العلمية.

أولا: أن القول باختراع حديث الأحرف السبعة يدل على عدم فحص جميع الأدلة الموضوعية لتصحيح هذا الحديث التي قاربت حدّ التواتر عند المحدثين، غير أن المستشرقين كعادتهم يتمسكون بالأدلة المسبقة عندهم دون قبول نقاش الأدلة على صحتها من عدمها.

ثانيا: الاعتقاد أن الرواية العثمانية تقتصر على لهجة قريش ينافي البحوث اللغوية التي جرت على هذه الرواية، وما يتفرع عنها من الطرق الواردة في أحرف القراءات العشر المتواترة.

كما يزعم نولدكه انه صلى الله عليه وسلم كان يُملي على كُتّاب الوحي ما يشاء،وقدم مثالا لذلك لما نزلت آية ذم القاعدين عن الحرب في سورة النساء، وأتى بعض العميان واستغفروا خوفا من أن يشملهم هذا، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت أن يضيف الكلمات التي يُستثنى فيها المصابون بعلّة جسدية ، متناسيا أن آية رفع الحرج عن هؤلاء تكرّرت عدة مرات في القرآن، وان النبي عليه الصلاة والسلام لا يضيف من تلقاء نفسه شيئا من القرآن وكان عينه لم تقع على قوله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ايت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحى اليّ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به وقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذّب بآياته إنه لا يُفلح المجرمون»

ثم تحدّث نولدكه عن الإعجاز فقال إنه ليس في النظم فحسب إنما هو في الجوهر، إذ لا يمكن لمشركي قريش أن يُدافعوا عن عبادة الأوثان بنفس الطريقة التي دافع فيها القرآن عن التوحيد. وقال أن ايمان محمد كان ايمانا أصيلا تجاه قومه، وخلق لنفسه تعبيرا اصيلا عنه لم يكن في امكانهم تقليده، وزادت حيرة أسلوبه في صعوبة ذلك بقدر غير يسير، لكن من الغريب قوله: إن تعاليم مسيلمة الكذّاب وتعاليم الإسلام متشابهة إلى حدّ كبير، وان ثمت أمور مشتركة بينهما مثل الحياة الأبدية، واسم الرحمان، وأحكام الصيام وتحريم الخمر والصلوات اليومية، ولكنه ذكر من

آرائه تحريم الزواج بعد ولادة طفل ذكر. ويظهر مسيلمة في زعمه كثيرا من الأصالة في التعبير، وهذا من آرائه الصبيانية التي اعترف بصعوبة محوها.

4 ـ رأيه في ترتيب السور

ذكر نولدكه أن موير زعم أن سبعة عشر سورة قد نزلت قبل العلق، ويذكر فيها سورة «العصر» دون بيان الأدلة على هذا الزعم.ويرى ترتيب السور المكية على ثلاث مراحل معترفا انه لم يتأكد من هذا الترتيب، وهي:

أ ـ الفترة الأولى: وذكر منها يس، ص، الزخرف، الدخان، ق، الطور، القلم، القيامة، مع عجزه عن فهم الأقسام بالكائنات الأنثوية.

وفي معرض الحديث عن الآيات الشيطانية التي أقحمها بلاشير في سورة النجم ذكر نولدكه أن موير (Muer) وشيرنغر (sprenger) يعترفان بحصول الحادث ويريان فيه ما وصفوه بالخداع. أما ليوني كتاني فيرى انه اختلاق متأخر بضعف روايته، وبأن مشركي قريش الذين أكرهوا المسلمين على الهجرة إلى الحبشة لا يمكن أن ينصتوا منه إلى سورة كاملة، وان تبني النبي صلى الله عليه وسلم لتعظيم الكعبة لم يأت بنتيجة تجاه كفار قريش، وأن اعتبار الأوثان الثلاثة (اللات والعزة ومناة) من شعائر العبادة الإسلامية يتناقض كليا مع إنجازاته التوحيدية.

وتحدث عن «الفاتحة» وعن لفظ «المثاني» ورجّح كون أصلها من الكلمة اليهودية – الأرامية «ثنيثو» بمعنى التقليد. وتحدّث عن البسملة، ويقول انه ليس من المؤكد انه عليه الصلاة والسلام قد اعتبرها مما نزل في غير سورة النمل.

ب- الفترة الثانية: وذكر من أمثلتها سورة الصافات ومن خصائصها اختفاء الأقسام، وايراد عبارة «قل» في الفلق، وورود اسم الرحمان وسورة القمر (ويشكك في انشقاق القمر وفي شقّ الصدر)، وسورة الاسراء واعتقد أن الاسراء ليس إلا حلما.

ج-**الفقرة الثالثة**: قال عنها: «إن اللغة فيها اصبحت واهية نثرية، التكرار الذي لا نهاية له. ويقول: «ولا يتورع النبي عن ترداد الكلمات نفسها تقريبا والبراهين التي تفتقر إلى الوضوح والجودة، ولا تقنع إلا من يؤمن سلفا بالنتيجة النهائية، والقصص التي لا تأتي إلا بالقليل من التنوع» **ويتضح جليا ما وصف به المؤلف نفسهأي «الصبيانية الوقحة»**

وذكر من سور هذه الفترة: سورة السجدة، وفصّلت وغافر، والجاثية والنحل. **فكان من عمى بصيرته عدم إدراك ما في هذه السور من قوة الإعجاز، التي من أمثلتها قوله تعالى: «الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم ثم قلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد»**

السّور المدنية:

ثم تناول نولدكه السور المدنية ، ومهّد لها بمقدمة حول الهجرة وعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل المدينة، ورفض بعض آراء زملائه في كون سرّ نجاح الإسلام في المدينة يعود إلى عوامل سياسية لما كان بين الاوس والخزرج من نزاع، وأكّد على الوازع الديني في هذا النجاح، وتحدّث عن دور المنافقين واليهود وأهل الاعراب فيما تعرّض له الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم استعرض السور المدنية بالتفصيل مع ربطها بالحوادث التي زامنتها مؤكدا على طابعها التشريعي ونزولها لأسباب معينة معروفة.وحاول وضع ترتيب زمني لنزولها حسب تاريخ حوادث السنين العشرة، لكنه عادة لا يترك فرصة تمر دون الطعن في روايات أئمة التفسير معتمدا في ذلك على اجتهاداته الخاصة وفقا لفكرته الأساسية، وهي أن القرآن من صنع النبي صلى الله عليه وسلم وانه يستعمل سلطة الوحي لتدبير سياسته الدينية والدنيوية.

ولقد افاض في التعاليق حول تناسق الآيات في السور باعتبار مضمونها وعلاقاتها بالحوادث التي يستعرضها.

ويعتقد أنه مع مرور الزمن صارت السور أقوال معلم ومشرع لا غير، فهو يرى أنها فقدت الشحنة التي كانت في السور المكية، **وهذا رأي يعود إلى عمق جهله بأسرار اللغة.**

وذيّل هذا الفصل بما سمّاه «ما لا يتضمن القرآن مما اوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا الجزء استعرض بعض النصوص التي اثبتت السنة نسخها، مثل حديث «لو أن لابن آدم واديان» «والرّضعات السبع التي تحرم» ، وحديث «إن الدين عند الله الحنفية السمحاء» والرضا عن شهداء بئر معونة، وآية الرجم.

(البقية في العدد القادم)

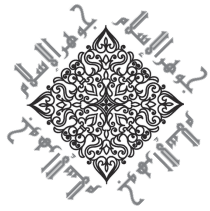

من سيرة الدكتور شعلال محمود عمر رحمه اللّه

بقلم : الدكتور قدور إبراهيم عمار المهاجي

لقد واكبت مسيرة هذا الرجل رحمه الله صفحات مجيدة من الفضائل والأعمال، ذات البعد الثقافي الديني السياسي والاجتماعي من التي لا زالت منتظمة في كثير من الوقفات التاريخية وأحداثها الزمانية والمكانية تروي مؤيدة بواقع من الحجج والبيان، وكثير هي فضائله رحمه الله من التي باتت تدعوني اليوم، وبكثير من الرغبة والإلحاح، لأقف أمامها وبشيء من الحق والعدل والإنصاف، حتى تكون للأجيال وللتاريخ يوما محل عز وفخر وحمد علما بأن يقيني، أن الكتابة في مثل هذه المواضيع ليست من السهولة بمكان، لا لشيء وإنما لصعوبة الوقوف عند أوائلها من أواخرها، نظرا لتعدد مناسباتها، وتنوع أغراضها وموضوعاتها إلا أنني والحمد لله، فمهما باعدت الأيام زمانها إلا وتقاربت كونها لا زالت تمتد عندي في كثير من صدق رواية وسمو معنى وعمق أهداف في غنى لفظ، وثبت صواب.

الأمر الذي بات يعينني على تدوينها بعيدا عن الأخذ بالاجتهاد في تقليب هذه الرواية أو تلك . الله من قال: (..) لا خير في القول إلا من انتفع به، ولارحم

ينتفع إلا بالصدق، ولا صدق إلا بالحقيقة والواقع. سائلا الله العلي القدير أن يعينني عن كل ما يرد في هذه الصفحات من خلال أعمال محمودة، وخصال معدودة، وملامح أصيلة وضاءة من التي كانت له رحمه الله في سعة علم ومعرفة وخلق قويم، ما جعله يتصدر الكثير من منصاتها الثقافية وميادينها السياسية وحلقاتها

في الوعظ والإرشاد، في كثير من المنتديات الفكرية والثقافية، عبر كامل ولايات الوطن وخارجه

فهي بحق وقفات تاريخية، ستأتي عندي في مضامين ثقافية فكرية، بكامل أوصافها واتساع آفاقها، وتنوع صلاتها المتعددة الجوانب، وكثير من الوقفات من التي ظلت تجمعني به رحمه الله عبر سنوات من العمل الميداني العلمي والعمل داخل الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية وخارجه، وصولا إلى الاتحاد العالمي للتصوف، الذي كان لي فيه شرف تولي رئاسة مجلسه العلمي العالمي، غداة تأسيسه بمدينة مستغانم من أرض الجزائر، والرئاسة فيه آلت للدكتور شعلال محمود عمر (رحمه الله). فهو المرحوم الدكتور شعلال محمود عمر (رحمه الله) الذي محضته الزوايا ومساجد كتاب الله رداءها في سنين وأصفت له أماكنها وأعطته قيادتها في كثير من مسيرتها الدينية التعليمية منها والعلمية من التي ظل يحتل بها مقاما رفيعا من الإجلال والاحترام داخل الاتحاد الوطني للزوايا وخارجه، الأمر الذي ساعده على خلق تفاهمات اجتماعية كانت لها بعداً ثقافيا دينيا سياسيا واجتماعيا، وذلك بفضل ما باتت تحققه هذه البيوتات من صلات ودية، وعلاقات حميمية بين الكثير من مؤسسات الوطن السياسية والثقافية والاجتماعية والناس بعامة، والتي بات ظله بها يمتد عبر كامل التراب الوطن إلى وفاته(رحمه الله).

تفوق علمي واعتدال وتألق في المعارف والآداب

هو من مواليد مدينة السوقر ولاية تيارت من عام 1949 للميلاد، عاش وترعرع في ظل حياة أبوية فاضلة كريمة ناعمة مترفة. كان له منذ صباه تأثر بيئي وثقافي، فهو من دار أصيلة وبيت معمور وامتداد موهبة ومهاد ومهاداة أثيرة وقد أتم ببيت والده رحمه الله كل ما كان طفولة وفتوة وصبا وشبابا، إلى أن اشتد عوده واتسعت آفاق القول فيه، اعتدالا وحسنا في معارف وآداب، تمكن أيامها من حفظ القرآن الكريم رسما وتلاوة وكثير من العلوم اللغوية والدينية من التي كانت له على يد والده الشيخ الميسوم رحمه الله وآخرون كثر من الذين تناوبوا الدرس والتحفيظ بمسجد والده الذي كان يتولاه إمامة درسا وتحصيلا، جمعة وصلوات الخمس، إلى جانب ما كان يتلقاه في المدرسة الفرنسية يومئذ من لغة وعلوم، كل ذلك وغيره كثير مكنه من التألق والنضوج في مرافقة الحضارة العربية الإسلامية منها والغربية في آن واحد. لكنه وقبل أن يستكمل هذا الفتى من الشباب ويجتمع السن غادر مدينته إلى

حظيرة تلمسان التي كانت يومئذ من أعظم مراكز مناهل العلم في الجزائر، والتي بها أخذ نجمه يتألق، من حيث ما كان عليه من سرعة بديهة وسعة إدراك ما أهله أن يلتحق بكثير من النشاطات الفكرية والثقافية داخل مؤسسته التعليمية من التي باتت تشفع له بمنزلة غير مسبوقة بين أقرانه تفوقا ومكانة، إلى أن توج بها بحصوله على شهادة الثانوية العام (البكالوريا) يومئذ، التي مكنته مستقبلا من دراسة العلوم الطبية بجامعة وهران بكامل جدارة واستحقاق لينال بها بعد سنوات من العمل والمثابرة في درس وتحصيل شهادة الدكتوراه كطبيب عام، حيث كانت الخدمة الوطنية في انتظاره، التي كانت واجبا على كل طالب أكمل دراسته الجامعية، أذاها في سنتين كطبيب بإحدى ثكناتها العسكرية بوهران.

ونظرا لأخذه شهادة الطب بامتياز، ونظرا لتفوقه العلمي ولمعان موهبته العلمية والفكرية استطاع أن يجد لنفسه متسعا من مجالات مواصلة البحث العلمي داخل الوطن وخارجه، للوصول إلى غايته المنشودة من تخصص في ميدان عمله، يضمن له النعيم المقيم والعيش الكريم، ففتح لنفسه بابا لتحقيق غايته اتجاه فرنسا، لعل الحياة تتسع له علما وعملا، فكان له ذلك والحمد لله، أن استقبلته إحدى الجامعات العلمية الفرنسية يومئذ دون مسابقة أو قيد أو شرط من التي كانت تتعامل بها هذه الجامعات وبخاصة منها ذات التخصصات العلمية الدقيقة في الدراسات العليا وبتوفيق من الله وحسن عونه أن هداه الله إلى أستاذ وجد فيه الخير وحب العلم ليكون له عونا في تحقيق طموحه، لكنه ونظرا لمتطلبات الحياة وغلاء المعيشة والحياة الزوجية التي كانت في رفقته وبمساعدة من هذا الأستاذ الفاضل استطاع أن يجد لنفسه عملا يتوافق وعمله العلمي.

تأسيس الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية

ونظرا لما يستحقه هذا العمل العلمي الجاد من تركيز واهتمام وعناية ومن الجهد الذي لا يقدر عليه إلا من كان من ذوي الإرادة القوية والعمل الجاد، ولكنه بصبره وثباته وبإيمانه القوي تجاه ما كان يصبو إليه، تحقق له المراد بالقدر الذي أهلته له همته وذكاؤه وجهده العملي العلمي الجاد، ليعود بقرار صائب إلى خدمة وطنه ومجتمعه، رغم العروض التي قدمت له للعمل هناك، ليستقر به المقام بمدينة مستغانم التي استطاع بها أن يستدرك ما فاته في تكوين بيت عامر بالمحبة والكرم والخلق القويم، إذ أنه ولكل إنسان ما له بالقدر الذي يستحقه في ميزان ما حصل

وما أعطى ملتمسا لنفسه اتجاها كان أحق به أو يزيده شهرة وقدرا ومنزلة، حتى بات به أحب الناس شرفا واحتراما وتقديرا، وعند جمهور أفني عمره في خدمته فضلا ونبلا بعيدا عن المطامع الدنوية سنيها وذنيها، ولكنه ونظرا لما بات يعيشه من تحديات اجتماعية ثقافية وفكرية من التي كانت له في جوهرها لا تحتاج لا إلي درس ولا موهبة، ظنا منهم أن الحياة فيها قد اتسعت له أفاقها رحيبة مرحبة فكان من الطبيعي أن يجد لنفسه فضاء مضافا إلى نشاطه في ميدان الطب والبحث العلمي، فمالت به رغبته إلى موضوع ظل يمس أوتار وجدانه منذ صباه، لأنه كان رحمه الله يعد من الرجالات المؤمنين الصلحاء من الذين لم يكن لهم من معين أو منبع سوى تلك الحياة الدينية التي نشأ في رياضها ونهل من منابعها وعاشها حياة وفكرا ونهجا وثقافة ليجد فيه الكثير من أسباب الجد والنشاط والعمل الصالح لله وللوطن، فعمل على تحقق مراده بعد جهد وتعب شديدين، ألا وهو إنشاء ما بات يعرف بـ: **(الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية)**، الذي انتقلت عنده من فكرة نظرية إلى واقع ملموس، وقد نالت فكرته هذه أيما إعجاب لدى السلطات الوطنية يومئذ، مما زاده قوة، وزادا في نشاطه الفكري والثقافي في النهوض بها علما وعملا، حتى أصبحت أيامه بها مرضية في كثير من مجالاتها من التي باتت تتكرر وتتجدد كلما فتحت لها الأبواب لذلك كما أنها لاقت الكثير من الترحيب والبهجة والسرور لدى الكثير من رجالاتها القائمين عليها ومن عامة الناس وخاصتهم، وقد كان له في هذا التوجه سعة وآفاق حتى باتت للوطن يوما أمنا وأمانا في كثير من توجهاتها الدينية والوطنية، لما بات فيها من عمل يوحد وجدانها عبر كامل التراب الوطني، ويربط بعضها البعض برباط من التعاطف والتآخي والمحبة ليجعل منها بحق جسما واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وفق منهج مليء بأسباب الحكمة والتوجه الوطني السليم، الذي ما من شأنه أن يواكب الأسلوب الحضاري في كثير من ميادينه من حيث تبصير الناس بشؤون دينهم ودنياهم في حسن عمل وصدق نية

إنشاء مدارس قرآنية عبر كامل ولايات الوطن

ومن الفضائل التي لا زالت تحسب له رحمه الله أنه عمل على إنشاء مدارس قرآنية عبر كامل ولايات الوطن ودوائرها، بعيدة عن دور الزوايا ودور الثقافة والتربية والتكوين هدفها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم علومه وقد لاقت دعوته هذه

الكثير من المبادرات ممن آمن بها من ذوي الإحسان، وأهل القرآن ومحبيه وهو الدافع الحقيقي الذي دفع به رفقة أعضاء من الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية، من كتاب وأساتذة باحثين على إصدار قانون طالب القرآن الكريم في مواد قانونية إلحاقا بقانون الطالب النظامي للمؤسسات التعليمية لوزارة التربية والتعليم، يشمله هو الآخر بكثير من الرعاية المادية والمعنوية، منها على سبيل المثال حصوله على منحة متساوية مع طالب المدرسة الجزائرية النظامية، طيلة فترة تعلمه، حتى تكفل له حق المأكل والمشرب والإقامة داخل هذه المؤسسات الدينية من زوايا وكتاتيب قرآنية ومساجد كتاب الله، ووظيفة تؤهله للعيش الكريم بعد حصوله على شهادة تؤهله لحفظه للقرآن الكريم، والأخذ بنصيب غير قليل من معارف علومه، لكن هذا المشروع لم ير النور إلى اليوم، نظرا للأيادي التي استلمته يومئذ، والتي كانت قريبة في ظاهرها بعيدة كل البعد عن هذا التوجه التربوي الديني السليم، مما جعل مصيره يظل معلقا على صاحب الأمانة، الذي وضعه تحت قيود ثقيلة. جعلت منه أن يظل حبيس رفوف أصابها الإهمال والضياع والنسيان وبقي الأجر فيه لنا وله عند الله ثابتا إن شاء الله

وفضائل أخرى كثيرة منها على سبيل المثال، الدور الكبير الذين قامت به الزوايا الوطنية أيام المصالحة الوطنية، إيمانا منه في المساهمة الإخراج الوطن من محنته التي كادت أن تؤدي به إلى عواقب لا يحمد عقباها، حيث وقفت هذه الزوايا والكتاتيب القرآنية، جنبا إلى جنب مع الدولة الجزائرية يومئذ في كثير من أبعادها. الداعية إلى لم شمل أبناء الوطن الواحد، بكثير من الوحدة والمحبة والوئام، بعد أن أخذ البعيد والقريب منها الحاصد لنعمة الله عليها، ومنها الناكر جهادها في فضل حريتها واستقلالها شاعلين نار هذه الفتنة الذي بات الوطن منها غير آمن ويوقدون نارها كلما هدأت أو كادت نظرا لما كان يتمتع به رحمه الله من القدر النبيه في فضائل ظلت تتجلى في كثير من أقواله وأفعاله

ومما يحسب له أيضا رحمه الله أنه سعى وفي عدد غير قليل من وجوه الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية من الذين كانوا على درجة كبيرة من الوعي الثقافي الفكري والسياسي، إلى تأسيس الاتحاد العالمي للتصوف والتي كانت المنافسة فيه على أشدها يومئذ بين العديد من دول العالم

حيث استمر العمل عليه كفكرة قابلة للوجود مدة سنوات قادتني معه والحمد لله، إلى العديد من دول العالم العربية منها والإسلامية جاعلين هدف خطابنا في

إقناع الغير بشتى وسائل العوامل والحجج من التي كنا نرى فيها التوجه السليم والرأي السديد بما يتفق وسمو أهدافه، وبفضل من الله وحسن عونه وبما كان يتمتع به مجتمعنا الجزائري الأصيل من آثار جليلة، وتاريخ مجيد. لقيت الفكرة الكثير من مجالات الرضا والتوافق عند العديد من ممثليه يومئذ، وتم تأسيسه والحمد لله بمدينة مستغام من أرض الجزائر، الذي كان لي الشرف فيه تولي رئاسة مجلسه العلمي والذي آلت إليه الرئاسة للمرحوم الدكتور شملال محمود عمر بالإجماع، وأمور أخرى كثيرة من التي مهما تحدثنا عنها إلا أننا لا نفيه حقه فيها، ولنا من مداركه الواسعة ومكارمه الفاضلة، وخصاله الحميدة، مسندة صحيحة..

لقد عاش الدكتور شملال محمود عمر رحمه الله جل أيامه كطبيب صاحب اختصاص في أمراض القلب التي كان فيها عظيم الفائدة أثرا وأبعد صدى، وأستاذا فاضلا أعطى فيه الكثير من جهد العلمي والعملي عاشر نخبة من العلماء الباحثين وكبار الحركات السياسية الوطنية، وله فيها صحبة أخيار ومن أعيان عصرها، وقد سخر آخر أيامه رحمه الله في كثير من الأعمال العلمية السياسية والاجتماعية خدمة للوطن، كان النصيب الأكبر فيها للمجتمع في أوضح محجة وأحمد عاقبة أثر فيها الصفات التي ينبغي أن تكون للمؤمن المصلح الصادق الأمين فيها من العفاف والصدق والعدل والإنصاف، ما فيها من سابق معرفة أو سالف تحصيل أو كامل استعداد، وكل هذه الصفات وغيرها كثير كانت له من التجارب ما صافحت يداه النفع والضر، والخير والشر، ما أغناء عن تعامله مع الحياة بالطريقة التي أرادتها له الحياة، والحقيقة أقول، فإنه كان رحمه الله لا يقابل الشيء بمثله ولا بالشكل الذي يفتح عليه أبواب المتاعب وقد كنت له والحمد لله على الدوام موضع رأي في إخلاص وحسن تدبير. بإسداء النصائح، ومظنة مشتك ما في نفسه أوافيه الرأي حقه قبل أوانه قدر ما أقدر عليه. حيث يكون فيه عصي المزاج، وأخرى لا يقبل المساومة فيه الغضب والرضا، وفيه الرخاء والشدة وسيلي هذه الصفحات صفحات أخرى نتناول فيها إن شاء الله أهم جانب من جوانب حياته الفكرية والعلمية من التي كان فيها كبير فضل علما وعملا كأستاذ باحث وأديب كاتب مؤرخ، وأمور أخرى كثيرة من التي أخذ منها وأعطى ومنحها ذوب نفسه (رحمه الله) وأسكنه فسيح جناته **إنا لله وإنا إليه راجعون**.

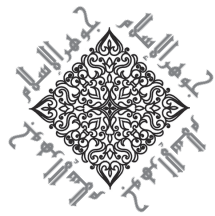

إقامة الدين هو الأساس المشترك بين جميع الأنبياء عليهم السلام

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (**الشورى: من الآية13**).

إن الآية لم تقل ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ في مقابل القضاء على الباطل، بل أمرت بإقامة الدّين في مقابل عدم التفرّق فيه. فالحالتان اللتان جاء فيهما الأمر والنهي. تتعلقان بالدّين ذاته. ولقد كتب المفسرون أن المقصود بالدّين في هذه الآية هو الدّين الأساسي المشترك بين جميع الأنبياء وهو غير الشريعة المفصلة:) لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا((**المائدة:من الآية 48**) ولم يكن الفرق بين الأنبياء بالنسبة للشريعة المفصّلة قائمًا على أساس أيّ تطور تشريعي بل كان قائمًا على أساس الفرق بين الظروف ومراحل الدعوة. وبعبارة أوضح إن الدّين يشتمل على قسمين: قسم مطلوب بصفة مُطلقة وبحالة واحدة، وقسم مطلوب تبعًا للظروف، فالأول يتعلق بالتعاليم الأساسية كالتوحيد، ولقد جاء ذكره في القران الكريم باسم (الدّين) والقسم الثاني الشريعة أو المنهاج أي القوانين الفرعية وأسلوب العمل... وقد عّبر القرآن عن القسم الأول بالصراط المستقيم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(**الأنعام**: 153)، وليس المقصود بالسبل في الآية طرق الكفر أو الشرك، بل تلك السبل التي تظهر باسم الدّين، ويكون نتيجتها التفرقُ في الدين الواحد المتفق عليه وعلى سبيل المثال، التوحيد هو جوهر الدّين، وهو اعتراف العبد بخالقه، وصرف العبادة له وحده، لا يشرك به شيئا، هذا هو أصل الدّين، فمن وجده وجد كلّ شيء ومن أضاعه أضاع كل

شيء. فالأمر الذي جاء في القرآن الكريم بإقامة الدّين يتعلق بالتوحيد. وإقامة الدّين إنما هو عنوان للجهاد من أجل القضية المتفق عليها وهي قضية عبادة الله حق عبادته وليس إثارة الجدال، أو النزاع بين المسلمين في المسائل المختلف حولها.

وعلى سبيل المثال: إن قضية وجود الله ووحدانيته والدعوة إلى إلوهيته بين الناس من الأمور التي ليس فيها اختلاف بين الأمة لأنها ثابتة بحكم الآيات والأحاديث، وعلى العكس من هذا لو أخرجت لحلبة الصراع قضايا مثل: ما عرش الله، وكيف يكون هذا العرش، أو كيف يكون الاستواء عليه، فإن مثل هذه القضايا استنباطية والخوض فيها يجعل البعض يأخذ اتجاهًا طبقًا لاستنباط شخص ما، والأخر يسلك اتجاها آخر وهكذا تظهر نتائج مختلفة وتتجمع حول كلّ نتيجة جماعة من المؤمنين لدرجة يتحول فيها الدين الواحد إلى عدّة مذاهب وفرق. فإذا قامت جماعة مثلاً بإثارة نزاع فقهيّ حول جزئيات العبادة، أو راحت تقيم جبهة سياسية تعارض السلطة الحاكمة فتقوم بالصدام معها باسم إقامة الدّين، فهذا لا يعني أبدًا (إقامة الدّين)، بل هو إتباع للسبل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، (**الأنعام**: 153) وهو أمر ممنوع تماما في الدّين، وإن إثارة المعارك حول الأمور الثانوية أو القضايا المختلف فيها إنما يقضي على وحدة الأمة، فالأمة حين تتمزق إلى فرق مختلفة فهي تحرم من نصرة الله الاجتماعية.

وهكذا يبدو لنا أن الجهاد في مجال العقائد المتفق عليها إنّما هو وحده (الإقامة للدين)، وعلى عكس من هذا فالقسم الثاني (المسائل الخلافية) سوف يبعث الشقاق، ويحدث الشروخ في الدّين وهو ما يسمىّ بالمصطلح القرآني: (التفرق في الدين). فمثلاً نحن نعلم أن الوضوء من اجل الصلاة متفق عليه كما هو في القرآن الكريم والحديث الشريف، إلا أن الآراء المتعلقة بآداب الوضوء مختلف عليها، فإذا أقمت دعوتك على ضوء المسائل المختلف عليها، فلا يمكن أن تتفق الآراء حولها، وهكذا سيكون عملك هذا سبباً في ظهور الاختلافات والفرقة وسوف يقسم الأمة إلى عدّة أمم، ولهذا قد صدر الأمر بعدم جعل مدار الدعوة على الأمور المختلف عليها. وهذا التعامل مع العبادات ينطبق على السياسة الإسلامية أيضا، فإذا قام شخص فدعا الله أن يصلح الحكام، والتقى بهم لقاءً فرديًا، ونصحهم بعبادة الله والاعتبار باليوم الأخر وأوضح جوانب السياسية الإسلامية عن طريق الكتابة والخطابة بأسلوب واضح متزن، فلن يكون هناك تفرّق أو إشاعة للفتنة بين رجال الأمة، وعلى العكس من ذلك، إذا رفع بعض الناس راية الاحتجاج وكوّن جبهة سياسية للمعارضة، وقام بحركة تهدف إلى تنحية الحكام عن السلطة، فإن النتيجة أن تصبح الأمة جماعات متفرقة، وتنقسم الأمة إلى جبهتين تحارب أحدهما الأخرى ويظهر التفرق في الدين باسم إقامة الدين.

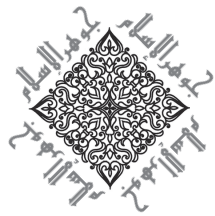

العلّامة الهُمام الفقيه محمد أبو زهرة
(1316 ـ 1400هـ = 1898 ـ 1979م)

بقلم: الأستاذ صالح العَوْد

بداية لا بدّ من التعرّف ـ ولو باختصار ـ عن هذا الفقيه الجليل المعاصر، وأحسن مَن يُعرّفه: الكاتب القدير فضيلة الدكتور محمّد رجب البَيّومي، فيَكتب عنه ما يلي[1]:

«نشأ طالبا بالجامع الأحمدي بطنطا ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي، فنال درجة العالمية سنة 1925م وطمح إلى دراسة اللغة العربية، فاتّجه إلى دار العلوم لينال المعادلة سنة 1927م، فاجتمع له تخصّصان قويان، لا بد منهما لمَن يريد التضلّع في علوم الإسلام، وقد أسعده الحظ بالتدريس في الكليات بعد فترة يسيرة من تخرّجه: إذ اخْتير مدرّسا للخطابة بكلية أصول الدين، فألقى محاضراتٍ ممتازةً في أصول الخطابة، وتحدث عن خطباء العصر القديم، منتقلا إلى خطباء العربية في عصورها المختلفة، وكتب في الخطابة مؤلَّفا كان الأول من نوعه في اللغة العربية، حيث لم تُخَصّ الخطابة قبله بكتاب مستقلّ؛ وقد ذاع فضْل المؤلف، فاختارته (كلية الحقوق) لتدريس الخطابة بها، إذ كانت مادّةً حيّةً من موادّها العلمية. وحين برز إعجاب الأساتذة والطلاب بالمدرّس الشاب، رأوا أن يعهدوا إليه بتدريس الشريعة الإسلامية بالكلية». اهـ

ومِن خلال تحلية شخصيّته الفذّة بأقلام أعلام عصره، وعارفي فضله ومجده، تتجلّى عظمة هذا الفقيه المعاصر، والعالم الجريء في وقتنا الحاضر، فمن هؤلاء الذين كتبوا عنه، وسلّطوا الأضواء على نواحٍ عدّة في سيرته ومسيرته:

1)صاحبا كتاب (إتمام الأعلام: أباظة والمالح / ص 362): «عُيّن محاضرا للدراسات العليا، عضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، فوكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية الذي

(1) مجلة التضامن الإسلامي عدد ربيع الأول 1403 هـ = يناير 1983م / ص 73

أسسه...لم ينقطع عن المحاضرات فيه.. كما تولى التدريس في عدد من الجامعات.. شارك في كثير من لجان صياغة قانون الأحوال الشخصية وتعديله في مصر».

2)الدكتور يوسف المَرْعَشْلي: (نثر الجواهر في علماء القرن 14/ مجـ 2 ص 1031): «... في أثناء تدريسه تخرّج به المئات، واستفاد منه الآلاف.. كان عليه مسحة العلماء، وله الذكاء المفرط، وقوة الحافظة، والشرح المسهب، حيث كان يُبهر الحاضرين بعلومه، وغزارة مادته.. أما صراحته وجرأته الفذة، فهي مشهورة بين الناس.. إذا أُعلن عن محاضرة لأبي زهرة، تجد العلماء والطلاب والجميع يهْرعون لِسماعه.. له مواقف شتى مشهورة...» اهـ.

3)الدكتور محمد رجب البيومي: (من أعلام العصر كيف عرفتُ هؤلاء/ ص 72): « للإمام الفقيه الثبت الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة، قوة لا تُغلب، فهو مع فقهِه الصائب، وعلمه الغزير ذو حجاج وجدل، يقتحمُ المعارك القلميّة في الصحف، والمصاولات اللسانية في الندوات، فيُسيطر على المواقف بدامغ الحجة، وواضح البرهان، لأن الرجل ممتلئٌ بأصول الشريعة، بصيرٌ بتيارات العصر ودوافعه.. عالمٌ بما يحوكهالمغرضون من مكايد، ثم هو صريحٌ لا يُماري ولا يُداري، لذلك كان موضع الهيبة والخشية يحذرُه معارضوه، ويؤيّدُه ذوو وجهته في حب خالص «. اهـ

ومِسْكُ الختام ، في التعريف بهذا الإمام الهُمام، فإنّه رحمه الله وطيّب ثراه ـ مع جولاته وصولاته الواسعة في حقل العمل العلمي، وحلبة معاركه الثقافية والتعليمية، كان لقلمه السيّال، شأن آخر لا يقل عظمة ولا ركودًا عن الشق الأوّل في مسيرته، بل إن تلميذه البارّ الدكتور محمد رجب البيومي، يشخّص لنا آثاره الهامّة بهذه الكلمات الآخذة بمجامع العقول والقلوب، فقال: « ترك من المؤلفات الضخمة في التشريع، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة، والمذاهب الإسلامية،والقرآن الكريم، وحياة خاتم النبيين، وسِيَر الفقهاء، ما يملأ مكتبة فسيحة وكان له مع ذلك كله: آثار صوتيّة في الندوات العلمية، لو جُمع مضمونُها في «مؤلفات» لبلغت عددا كبيرا...». اهـ

وقد أحْصى هذه الآثار الدكتور المرعشلي فأوصلها إلى (26)، نذكر منها على سبيل الذكر والإعلام بها، ما يلي: الأحوال الشخصية/ أصول الفقه/ الجريمة في الفقه الإسلامي/ الزواج وآثاره/ مصادر الفقه الإسلامي/ العلاقات الدولية في الإسلام/ سلسلة في سيرة أئمة المذاهب / محاضرات في النصرانية/ خاتم النبيين/ تفسير القرآن الكريم / الخطابة/ الوحدة الإسلامية/ تنظيم الإسلام للمجتمع/ محاضرات في مقارنات الأديان/ محاضرات في المجتمع الإسلامي/ ... إلخ.

رحمه الله رحمة الأبرار.. واسكنه جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار.

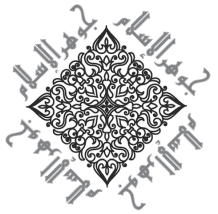

في الحاجة إلى الدين

بقلم الدكتور محمد البشاري

الأمين العام للمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

لو تخيلنا حزمة من الاستعدادات الذهنية، وحقيبة غنية من المؤونة الأخلاقية، تُضاف إليها مسألةٌ مّا نابضة نشطة يحملها كل منا في صدره، تلح عليه مرةً تلو الأخرى بالسكون والطمأنينة الدينية.. نستطيع هنا أن نلخص معنى أن تكون إنساناً. وهذا لا يعد من قبيل الاختصار أو التهويل حول ما ذكر ولا التهوين مما لم يذكر، وإنما هو محاولة تفكيكية إيضاحية لجل ما تقوم عليه كينونة الوجود الآدمي، مالم يتعكر بمنغصات أو انحرافات دخيلة. والاستعداد الذهني هو الهبة الربانية التي تعني قدرة الأفراد على التصرف والإدراك والاحساس من خلال سيالات عصبية بالغة الدقة، تتحد مع شتى الأعضاء البيولوجية من أجل الوصول لأدق منتوج سلوكي أو معرفي جديد.

أما فيما يتعلق بصمام القيم الذي يمثل الوجود السوي الأكثر نفعاً للإنسان، فهو يتأثر بنضوج تلك الحمولة القيمية، وينطلق من التأسيس الفطري لها، إذ ترفض الفطرة الإنسانية السوية والنقية كافةَ نقائض الأخلاق ومعكوساتها، ولو تجملت!

أما النزوع إلى الدين فهو ميل أو توجه روحي غير متقيد بالجسد، وإن كان الجسدُ أداةَ تحقيق الغايات الإنسانية عملياً.

والإمعان في تلك الأسس الثلاثة، أي العقل والقيم والدين، يتضح أنها تمثل «تركيبة» متجانسة تنتمي لها جلُّ النجاحات والإخفاقات في تاريخ المجتمع البشري،

ولكل منها تسلسل وهيكلة لا يمكن عزلها عن الدين أو الحاجة إليه. فالعقل، وإن كان يرغب في إطلاق عنانه وإشباع جماحه الفائر، فإنه إن لم يهتد بالوحي انقلب من عقل مفكر رشيد إلى سلوك مدمر. وهنا تتجلى الأطروحات التي تحث على الاستزادة المعرفية وعلى التفكير والتفكر دونما شطط في استخدام العقل أو إهدار لطاقاته في ما يضر.

وعن القيم ومؤنساتها الأخلاقية التي تضيف البهجةَ والمعنى للحياة، فإنها وإن كانت عامة وفطرية وسابقة للدين فهي تظل قاصرة وبحاجة لما يتممها ويشحذ حوافها. وبالتالي فإن الدين حلقة وصل متينة تؤدي للتطوير والقوة والاستمرارية المبنية على أسس ثابتة صلبة.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن كل ما يجري تدارسه وتناقله، وإن عُدَّ متفرداً أو أصيلاً، فلا بد من الإشارة لانتمائه إلى ما هو أساسي في تكوينه وترعرعه، من مرجعية تاريخية ودينية واجتماعية وثقافية، وبالتالي تظل هناك آفاق طولها كطول أشعة الشمس، ممتدة كثيرة العطاء، دافئة ومهمة.. لكن انكسارها على الأجسام، أو تبدل قوتها وشكلها لا يمثل حقيقتها المطلقة، ولا يعني صيغتها الأخيرة. وبالتالي علينا دائماً الإصغاء للصورة الفلسفية الأولى، من دون تردد في مد البصر لما يختبئ وراءها، وما دفع بها لتطفو على السطح.

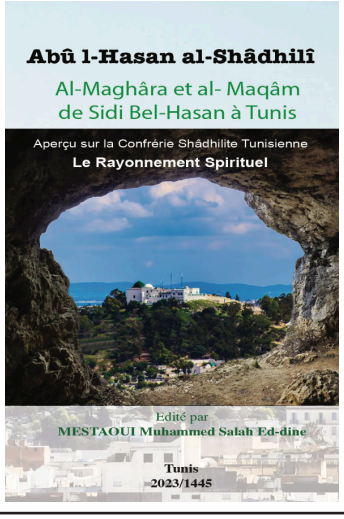

صدر أخيرا

مفاهيم إسلامية

من آفات اللسان: الثرثرة وعدم كتمان السرّ

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

من أعظم الأسباب التي تعين الإنسان على بلوغ أهدافه وتحقيق غاياته محافظته على كتمان الأسرار وعدم البوح بها لمن لا يحافظ عليها ذلك أن الحياة لا تخلو أبدا من صديق أحمق لا يقدر العواقب وعدو كاسح يتسقط الأخبار ويترقب الفرص ليعثر على نقطة الضعف ومكانه لطعنu وعندئذ لا يترك الفرصة تمر من غير أن يحقق فيها هدفه.

وكم تبدو تلك الحكمة النبوية رائعة عندما نتأملها بإمعان وتبصر وهي قوله ﷺ **(استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود)** حقيقة والله انه لنعم العون على إنجاح الحوائج كتمانها حتى يكون صاحبها في حرية تامة وفي امن مستتب لا يخشى من أولئك الذين يأكل أكبادهم الحسد ويسوقهم إلى التصرفات التي تنبو عنها جميع القيم الإنسانية والأخلاقية

وان الاخذ بالنصيحة المحمدية ليريح نفسه أولا من مثبطات علنية ومتسترة اقل ما ينجر عنها التعب المرهق ومضاعفة المجهود وإلا فقد تقلب النتيجة رأسا على عقب ثم هو في نفس الحين يريح إخوانا كثيرين من أن يكون سببا في إذكاء نار حسدهم وتقديم الوقود الذي به تضطرم ولا يعطي لأعدائه سلاحا حادا يسددونه نحو نحره متى أرادوا ذلك.

ولو استقصى احدنا أسباب الخيبات الشخصية والجماعية التي مني بها الناس لوجد أن نسبة مئاوية مهولة كانت أسباب الخيبة فيها لا تعدو الثرثرة الفارغة والرعونة القولية التي اقل ما يقال أنها تهاون سخيف بالمسؤولية وعدم تقدير العواقب ولله در الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذ قال (**سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره**) وانه لأسر معنوي وحسي خطير يوقع فيه الحر نفسه طائعا مختارا وقد لا يملك وسيلة للخلاص منه فيندم حيث لا ينفع الندم. وما ذلك إلا من أدلة قلة الصبر وضيق الصدر ومن براهين الغفلة والطيش وكل ذلك لا يليق بمن يحترم نفسه ويهيأها لخير مرتقب ولمقام أسمى وما أروع قول الشاعر الحكيم الذي قال:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

وبقدر ما يبدو تهاون الإنسان بسره سخافة وجهلا بقدر ما يكون إفشاؤه لسر غيره خيانة ولا فرق بين أن يؤتمن عليه فلا يرعاه وبين أن يسمعه فيذيعه لان الأول خيانة مؤتمن وتلك العلامة الثالثة من علامات النفاق كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم (**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد خلف وإذا اؤتمن خان**) والثاني النميمة بعينها وهي التي جاء التنديد بها مع صفات حقيرة أخرى في قوله تعالى (**ولا تطع كل حلاف مهين هماز لماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم**) وفي هذه الحقارة ما يكفي لجعل العاقل يقرا لها حسابا وأي حساب: وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أن الإلحاح على كتمان السر يتنافى مع مبدأ الشورى الذي جعله الإسلام دعامة من دعائم النجاح (**وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) (**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) فهذه دعوة ملحة لمن ثبتت له العصمة صلى الله عليه وسلم ولقد طبقها أفضل تطبيق فما بالك بأمته التي هي دونه وهو قدوتها الأوحد، والحق انه لا منافاة البتة بين السر والشورى إذ السر فيما لا خير في إفشائه، أما الشورى فإنها تكون في عظائم الأمور التي يحتاج معها إلى تحاكم العقول وتظافر الجهود مع أهل الذكر والثقة ولا بدّ منها في كل أمر هام ولولا ذلك ما أكدها القرآن وطبقها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وكفى به رائدا وهاديا.

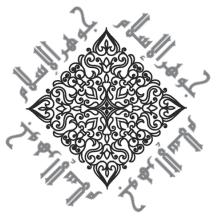

شعب اللّه المُختار...
وشعب اللّه المُحتار!!

بقلم الاستاذ ابراهيم الربو

ليس في اختيار هذا العنوان ولعٌ بالسجع ، أو شغف بموسيقى الألفاظ والعبارات، وهو ما يبدو مراداً للوهلة الأولى بمجرد النطق بكلماته ، فالقصد أن نلقي بعض الضوء على هذين الشعبين ، لماذا كان المختار مختاراً رافضا – عقديا – أن يكون في خانة المختارين شعب سواه ؟ ولماذا يُبْقِى المحتار رأسَه تحت مظلة المحتارين ، وقد غادَرتْها جل الشعوب ، حتى بقى تحتها وحيداً أو كاد ،،؟!! لماذا يُقدّم الأول الدلائل للعالم على أنه المختار ، ويقدم الثاني أضعاف أدلة الأول على أنه المُحتار ؟ !! مَن ميّز الأول بالاختيار وأوقع الثاني في الحيرة ؟!! وبإيجاز وبدون طرح المزيد من الأسئلة ،،، مَن هو الشعب المختار ، وأي شعب هو المحتار ،؟!

وفي إجابة موجزة ومباشرة نقول : أن شعب الله المُختار ، هو نفسه شعب الله الملعون !! قد يكون في ذلك غرابة ، إذ كيف يكون مُختاراً وملعونا في آنٍ معا ؟!! وهو سؤال غاية في المنطقية ، وإجابته في غاية الموضوعية ،، فأحبار ذلك الشعب أدّعوا بأن الله اختار شعبهم وميّزه على العالمين ، وهم بسبب ذلك يحافظون على نقائهم العرقي حتى لا تتلوث دماؤهم بدم أقوام هم دون منزلتهم عند الله كما يدّعون ،، !! والغريب في ذلك أن ذات الأحبار هم من قالوا عن الله

– الذي يدينون له باختيارهم – بأن يده مغلولة ،!!! فما كان من الله إلا أن لعنهم بما قالوا ، ووثّق تلك اللعنة في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،، وفيصل القول فهم شعب الله المختار حسب إدعائهم ، وشعب الله الملعون حسب قول الله تعالى ، ولك أن تصدّق أحد الطرفين لتحكم على ذلك الشعب إما بالاختيار وما يمثّله من تميّز ، وإما باللعنة وما يترتب عليها من آثار ،، ،!! ذلك عن شعب الله المختار فماذا عن شعب الله المحتار ؟!!

لا تستغرب أخي القاري إذا دخلتُ بك مباشرة في الموضوع ، وقلتُ لك بكل صراحة وشفافية بأنني وإياك عيّنة متحركة من ذلك الشعب ،، ذلك ما أراه ، فانظر ماذا ترى ؟! وارجعِ البصر كرتين من كابل إلى طرابلس ، مروراً بكراتشي وبغداد وبيروت وصنعاء والخرطوم ،، دماءٌ ودموع ، عنف وإرهاب ، تفجير وتدمير ،، ترويع وتخريب ،، جماعات يكفّر بعضها بعضا ، بل ويحاول كل منها ما بوسعه للنيل من الطرف الآخر ، تيارات التكفير والتبديع والتفسيق هبّت بها رياح قادمة من الشرق العربي فإذا بمغربه يتحول إلى ساحة صراع فقهي أحدث شروخا في وحدة المذهب المالكي المعروف بوسطيته وانفتاحه وتسامحه، ونشبت أنواع من الصراعات حول قضايا أبسط ما يُقال عنها أنها ثانوية ولا تمس جوهر الدين وأس العقيدة ،،، بل تحول بعض تلك الصراعات إلى عنف لفظي حفلتْ به مواقع تواصل اجتماعي وإذاعات مسموعة تنفخ في نار الفُرقة والاختلاف...

والأمر اليوم ليس محصورا في منطقة إسلامية دون غيرها أو بلد إسلامي دون سواه ، فالفرقة والتشردم والتشظي عم الأمة وعصف بوحدتها وأشعل فتيل العنف والتطرف بين مكوناتها العرقية والمذهبية ،، وبالمقابل ازداد أعداء الإسلام قوةً وتوحداً وتحصنا بالتقنيات العلمية التي بفضلها أصبحت لهم اليوم اليد الطولى في العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وما نراه اليوم في غزة وكامل فلسطين من تآزر لقوى الشر من أجل إبادة جماعية وتطهير عرقية ، إلا دليل على فظاعات لم يشهد التاريخ البشري المعاصر لها مثيلا ،، بينما يعج العالم العربي والإسلامي بالحروب الأهلية والصدامات المسلحة بين مكوناته ،،، تعالى أخي الكريم إجمع كل مصطلحات البوس والشقاء في العالم (مهجرون ،، مشردون ،، لاجئون ،، محاصرون ،، نازحون ،، معتقلون ،، جائعون ،، فارون ،، عالقون

،،) وأنثرها فوق خريطة العالم وستُصدم بواقع أن تراها تسّاقط جلها إن لم تكن كلها فوق ذلك الهلال الجغرافي الذي سبق أن حددنا امتداده ،،!!!

تأمّل أخي الكريم مصطلحات (موتى ،، قتلى ،، جرحى ،، مقابر جماعية ،، أشلاء مبعثرة ،، جثث متحللة ،،) فستجدها هناك في ذلك الامتداد أيضا على مدار العام ،،،، منذ يومين قرأت أن هناك فتاوى تبيح لجوعى غزة أكل لحوم القطط والكلاب والجرذان علّها تبقي بعض شعبنا المحتار هناك على قيد الحياة ولو إلى حين أن يلاقوا حتفهم بصاروخ صهيوني ،،،،،!! يا حسرةً على العباد ، لِمَ لم يصدر أولئك المفتون فتاوىً بضرورة دعم صمود إخوتنا في غزة وكامل فلسطين ، وأن يرفعوا أصواتهم في وجه كل متخاذل عن نصرة أهل غزة مهما كان موقعه السياسي أو العسكري ،، ولكن للأسف فقد وقع علماء وشيوخ كنا نقدرهم ونجلهم في فخ موالاة المعتدين فجاروا في ذلك بعض رموز النظام الرسمي العربي البائس والمخزي والمذل ، تلك الرموز التي وصل بها التخاذل لحد تجريم الدعاء لأهل غزة أو رفع العلم الفلسطيني ،،!! أليس ذلك مدعاة للحيرة ؟!!

الواقع أن لا مجال للإحاطة بمظاهر الحيرة عندنا دينا وسياسة ومواقف ولو سكب هذا القلم كل ما في جوفه من مداد،،!! وهناك في قلب أراضي شعب الله المحتار يصول شعب الله المختار ويجول يقتل ويدمر ،، يعتقل ،، يعذب ،، يهدم ويدمر ،، يدنس المقدسات ،، فهل نلوم الذين يصدقونه في إدعاءاته بأنه المُختار تحقيقا لنبؤة توراتية تقول بعودة المسيح ،،؟ أم نلوم أنفسنا وولاة الأمر فينا على هذا الخنوع الذي لم يسبق له مثيل ؟ !!!! إنني في حيرة من أمري ولا شك أنكم كذلك ،، لكن لا ضير في ذلك ولا غرابة فإنني وإياكم ننتمي في النهاية إلى شعب الله المحتار !!!

خطبة الجمعة

فليتدبر حجيج بيت الله الحرام أي رحلة يقومون بها

الحمد لله الذي أجزل العطاء للحجاج والمعتمرين وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له القائل سبحانه ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران 97

وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه القائل صلى الله عليه وسلم (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته امه) متفق عليه واللفظ للبخاري،فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اما بعد أيها المسلمون أوصيكم ونفسي بتقوى الله القائل ﴿**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾ البقرة 197، الحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم بنيانه إلا عليها عبادة من عبادات الإسلام دلت على فريضته آيات الكتاب العزيز منها قوله جل من قائل﴿**وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ آل عمران 97. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما (**خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها،الحج مرة فمن زاد فهو تطوّع**)الحج عبادة بدنية مثل الصلاة والصيام وهو عبادة مالية مثل الزكاة والمسلم يتعبد الله ويتقرب إليه من جنس ما أفاء الله عليه من النعم: نعم الصحة والعافية في البدن ونعم الخلق في حسن تقويم، وهي مظهر من مظاهر الشكر لله من طرف عبده ليزيد الله في نعمه، وقد أمرنا ان نقيد نعم الله بالشكر عليها والشكر لله سبحانه وتعالى أول ما ينبغي أن يكون بأداء ما فرض «**وما تقرب إلي**

عبدي بأفضل ممّا افترضته عليه» كما يتعبد العبد ربه بأداء حق ما أنعم به وتكرم به عليه من مال ينبغي عليه ان يؤدي زكاته إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول ويتعبد الله بأداء شعيرة الحج إلى بيت الله الحرام عندما تتوفر فيه ولديه الاستطاعة والاستطاعة في الحج بدنية جسمية تتمثل في السلامة والصحة والعافية كما أنها استطاعة مالية وهي القدرة على توفير ما يتطلبه الحج من نفقات السفر والاقامة والزاد له ولمن يعوله من اهل وولد. كما ان الاستطاعة امنية في الطريق للحاج ولدى أداء مناسكه في البقاع المقدسة،.اذا توفرت هذه الاستطاعات البدنية والمالية والامنية وجب على المكلف وهو المسلم الحر البالغ العاقل المستطيع ان يبادر إلى أداء هذا الركن الخامس لتبرأ ذمته أمام الله سبحانه وتعالى ،روى الترمذي والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا)** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (**لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا من له جدة ولم يحج فيضربوا عليه الجزية)** وجاء في الحديث(**حجوا قبل أن لا تحجوا**)و هو بذلك يرشد إلى أن القادر على الحج الآن قد لا يقدر عليه في عام قادم، قال عليه الصلاة والسلام (**اغتنم فراغك قبل شغلك وصحتك قبل مرضك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك)** ولذلك قال بعض العلماء بوجوب الحج على الفور وليس على التراخي،و ترغيبا من رسول الله عليه وسلم للأمة في أداء هذا المنسك وشد الرحال إلى أشرف البقاع وأقدسها جاءت أحاديثه تبشر من أدى الحج على اصح الوجوه وأتمها. أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة**) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (**من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في ما دعا له)** وروى الامام أحمد(**من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**).روى الطبراني (**حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن)** فانظروا عباد الله إلى ما ورد في هذه الأحاديث وأحاديث كثيرة أخرى مثلها لا يمكن الإتيان عليها وهي من الوضوح والجلاء بحيث لا تحتاج الا إلى التدبر والتمعن فيها والتصديق بها فالمبشر بها هو ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يبلغ عن ربه الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عمل عامل من عباده أخلص لله قصده وابتغى بعمله وجهه.

و الحجاج هم ضيوف الرحمان إلى حرمه الآمن لبوا نداء الخليل إبراهيم عليه السلام الذي أمره ربه بالأذان بالحج بعد ان أتم اقامة اركان البيت ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ملبين مرد دين تلك الصيغة المليئة بمعاني التوحيد الخالص لله رب العالمين (**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**) يقصد حجيج بيت الله الحرام مكة المكرمة حيث أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين من دخله كان امنا ومن أراده بظلم وعدوان كان مصيره مصير أبرهة وفيلته (**من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**).أقام أركانه وطهره للركع السجود الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام هناك في الواد غير الزرع كيف لا تتشوق إلى تلك البقاع الطاهرة والى حرم الله الأمن حيث الكعبة وزمزم والصفا والمروة وحيث عرفة ومزدلفة ومنى وكل تلك المشاهد تخشع فيها القلوب وتذرف فيها الدموع وترتفع الحناجر إلى الله بأخلص وأصدق الدعوات في مشهد لا يمكن وصف جلاله وجماله ، حجيج جاؤوا من كل فج عميق بمختلف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم ومراتبهم في مجتمعاتهم، حجيج جاؤوا متجردين من المحيط والمخيط من الملابس وغيرها من مظاهر النعيم الزائلة تركوا الأوطان وركبوا الصعاب وليس لهم من غاية ولا هدف، تركوا التجارة والأرباح وفروا إلى الله ووقفوا بين يديه في يوم مشهود يوم عرفة يوم التاسع من ذي الحجة ليظفروا بأعظم جائزة وأفضل هدية ألا وهي تجلي المولى سبحانه وتعالى عليهم في مساء يوم الحج الأكبر...روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ان الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول:يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبرا اقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق فأشهدكم اني قد اجبت دعاءهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم واعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم**».. حكى عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة وكان السلف الصالح يتابعون بين الحج والعمرة لقوله عليه الصلاة والسلام «**تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر ويمحوان الذنب**س قال محمد بن المنكدر لما كان في اخر حجة (**اللهم إني قد وقفت في موقفي هذا (على عرفات)** ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن ابي والثالثة عن أمي وأشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم يتقبل منه فلما دفع بعرفات ونزل بمزدلفة نودي في المنام: يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم ،أتجود على من خلق الجود ان الله تعالى يقول لك(وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان اخلق عرفات)وعرفت ومزدلفة ومنى والبيت وأركانه وكل ما

حوله مواطن يستجاب فيها الدعاء. فقد روي(**ما من احد يدعو عند الركن حيث الحجر الأسود الا استجيب له**) وكذلك عند الركن اليماني. وروي ما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا الا مكة اولها جوف الكعبة والدعاء فيها مستجاب والدعاء عند الحجر الاسود مستجاب والدعاء عند الركن اليماني مستجاب والدعاء عند الميزاب مستجاب والدعاء في الحجر(حجر إسماعيل) مستجاب والدعاء في الملتزم (بين الحجر الأسود وباب الكعبة) مستجاب والدعاء خلف المقام (مقام ابراهيم) مستجاب والدعاء عند بئر زمزم مستجاب الدعاء عند الصفا مستجاب والدعاء على المروة مستجاب والدعاء في الموقف مستجاب والدعاء عند المشعر الحرام مستجاب والدعاء عند الجمرات مستجاب)...

مواطن يستجاب فيها الدعاء و تتنزل فيها الرحمات على قاصد بيت الله الحرام العازم على أداء هذا الركن العظيم الشأن من أركان الإسلام فما عليه إلا أن يستعد لذلك مثلما يستعد للقيام بإجراءات السفر التي هي وسائل لهذه الغاية فلا ينبغي على الحاج ان يضيعها بكل ما يفسدها من لغو وغفلة ومتعة وبيع وشراء وإذا كان ولابد من شيء من ذلك فليكن بعد قضاء المناسك والاستعداد للعودة بأعظم جائزة الا وهي الحج المبرور الذي لا ثواب له الا الجنة.

ألا فليتدبر حجيج بيت الله الحرام أي رحلة يقومون بها انها رحلة العمر قد لا تتكرر فليغتنموها ولا يضيعوها وليحرصوا على أداء مناسكهم على أحسن الوجوه وأتمها وأصحها فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الاعمال إلا أصوبها وقد قال عليه الصلاة والسلام «**خذوا عني مناسككم فلعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا**» وأخلصها ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ وأطيبها فان الله طيب ولا يقبل الا طيبا لا شبهة حرام فيه فقد ورد في الحديث القدسي (**ان الحاج إذا ركب راحلته وقال لبيك اللهم لبيك فإذا كان مال حجه حلالا قيل له:لبيك وسعديك وحجك مقبول عليك،وإذا قال: لبيك اللهم لبيك ومال حجه حراما أو فيه شبهة حرام يقال له(لا لبيك ولا لسعديك وحجك مردود عليك**)نسأله سبحانه وتعالى السميع العليم العلي القدير ان ييسر لنا حج البيت الحرام ويجعلنا في هذا العام أو فيما يأتي من الاعوام من ضيوفه الذين يكرم وفادتهم ويتقبل حجهم ويستجيب لدعائهم ،أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم من كل ذنب عظيم انه هو الغفور الرحيم.

***خطبة الجمعة بجامع البحيرة1 ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي**

يسألونك قل

من يُرد به الله خيرا يفقهه في الدّين

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله

حكم التقاعس عن أداء فريضة الحج

السؤال: ما هو راي الشرع العزيز فيمن يتوفر لديه المال والصحة ولا يؤدي فريضة الحج؟

الجواب: من المعلوم بالضرورة ان الحج هو قاعدة من قواعد الإسلام الخمس فمن جحد وجوبه فهو كافر مرتد عن الدين الإسلامي الحنيف وهو واجب في العمر مرة واحدة على المستطيع قال الله تعالى **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** الآية97 من سورة آل عمران فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: **(ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل: اكل عام يا رسول الله؟ فسكت أي سكت رسول الله عليه السلام والرجل يكرر السؤال حتى اعاده ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم)** رواه الشيخان البخاري ومسلم وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من ملك زادا وراحلة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا)** ذلك بان الله تعالى قال ﴿**وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ الآية الآنفة الذكر وروى الحسن البصري فقال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه **(هممت ان ابعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده (جدة أي سعة من المال) فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية)** أي الجزية المضروبة على اهل الذمة من اليهود والنصارى ما هم بمسلمين وقد اجمعت الامة الإسلامية على وجوب الحج مرة في العمر على كل مستطيع من المسلمين، والاستطاعة فسرت بالصحة البدنية السالمة من كل ما يعيق عن

آداء مناسك الحج والسفر برا وبحرا وبالزاد المبلغ ذهابا وايابا واقامة في البقاع المقدسة طيلة ايام الحج مع ترك ما يكفي للنفقة على من تجب عليه نفقته كزوجته وابنائه الصغار الذين هم دون سن البلوغ وكذلك نفقة ابويه اللذين لا مال لهما من غيره وكذلك شروط الاستطاعة الامن على النفس والمال ذهابا وايابا فاذا توفرت هذه الاستطاعة المذكورة ولم يحج المسلم فهو مرتكب لكبيرة من اعظم الكبائر فليبادر المسلم المستطيع إلى أداء فريضة الحج فانه لا يدري متى يحصل له العائق فيفقد الاستطاعة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(تعجلوا إلى الحج (أي الفريضة) فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له)** رواه الامام احمد في مسنده،

حول جواز إحرام الحجيج من جدة

س: أيجوز الإحرام للحج من جدة بالنسبة لحجاج شمال افريقيا مثلا؟

ج: اعلم أيها الأخ الكريم انه يجوز الإحرام بالحج والعمرة من جدة بالنسبة إلى المسافرين من تونس إلى مكة مباشرة وذلك قياسا على رأي الإمام سند بن عنان المالكي (ت514 هـ) في إحرام راكب البحر حيث قال "...وواسع أن يؤخر (يعني راكب البحرإحرامه إلى جدة) وبما قال الإمام ابن عرفة وبما أفتى به العلامة محمد الطاهر ابن عاشور حيث قال "...أما المسافر في الطائرة فهو لا يمر بالأرض أصلا، ولا يتصور فيه إمكان النزول قبل الوصول إلى المنازل الملائمة لنزول الطائرة حتى يرخص له التفادي عنه بالإحرام في الطائرة، ولأن الإحرام في الطائرة مشقة ومضرة لشدة برودة الجو. ويحتاج إلى التدثر بالثياب، وفي الغالب لا يوجد في ثياب الإحرام ما يصلح للتدثر". وأما موقع الإحرام في صوره من لا يحرم حتى ينزل إلى البر، ففي شرح الحطاب عن سند لا يرحل الحاج من جدة إلا محرما لأن جواز التأخير إنما كان للضرورة. وهل يحرم إذا وصل البر. إو إذا ظعن من جدة؟ الظاهر إذا ظعن، لأن سنة من احرم وقصد البيت أن يتصل إهلاله بالمسير.

لا تُصلّى الرواتب في مزدلفة ومنى

س: هل الحجيج بمزدلفة ومنى يؤدون رواتب الصلوات؟

ج: اعلم ايها الأخ الكريم أن الحجيج لا يقومون برواتب الصلوات تخفيفا عنهم ورحمة بهم من الله تعالى، يدل على ذلك ما رواه مالك في موطئه عن كريب مولى ابن عباس، عن اسامة بن زيد انه سمعه يقول: دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم – من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فتوضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله،

فقال: الصلاة أمامك فركب، فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل انسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا"

قال الشيخ عبد الباقي الزرقاني في شرح قوله "ولم يصل بينهما شيئا" اي لم يتنفل بينهما، لأنه يخل بالجمع، لأن الجمع يجعلهما كصلاة واحدة فوجب الولاء كركعات الصلاة ولولا الولاء لما ترك صلى الله عليه وسلم الرواتب" انتهى كلام الشيخ الزرقاني ومن رواتب الصلوات المفروضة التي تركها النبي صلى الله عليه وسلم في مزدلفة ومنى: صلاة ست ركعات بعد المغرب، وصلاة ركعتين قبل العشاء واختلف في عدد ركعاتها بعد صلاة العشاء.

من انتقض وضوؤه أثناء الطواف

س: إذا انتقض وضوء الحاج اثناء طوافه بالبيت الحرام في هذه الحالة عليه أن يخرج من مكانه ويذهب ليجدد وضوءه، لكن هناك من قال: بعد أن يعود يبني على ما وصل اليه في طوافه وهناك من قال لا يبني وإنما يجب عليه أن يعيد طوافه من الأول فما حقيقة الأمر في هذه المسألة الفقهية حسب مذهب الإمام مالك؟

ج: اعلم ايها الأخ الكريم أن في المسألة التي سالت عنها تفصيلا وهو: في طواف القدوم الذي هو واجب وفي طواف الإفاضة الذي هو ركن من أركان الحج ينبغي أن يكون الطائف على طهارة من الحدث الاصغر والاكبر وهو شرط في ابتدائه ودوامه فمن حصل له ناقض اثناء ذلك بطل طوافه ولا يجوز له البناء على ما فعل ولو كان عوده قريبا ، وسواء حدث الناقص غلبة أو سهوا أو عمدا.

وإن كان الطواف تطوعا لم تجب عليه الاعادة أي إعادة الطواف.وأما طهارة الخبث من النجاسة فحكمها حكم طهارة الحدث إلا حال النسيان فمن طاف ناسيا بنجاسة لم يعلم بها إلا بعد فراغه من الطواف فلا إعادة عليه كالصلاة.فإن علم بها اثناء طوافه أزالها عنه وإلا غسلها وبنى على ما فعل، والرعاف كالنجاسة يذهب لغسله ويبني على ما فعل.

من نسي شوطا ثم صلى ركعتين وتذكر

س: عندما يتذكر الحاج بعد أن طاف بالبيت وصلى ركعتين خلف مقام ابراهيم –عليه السلام– انه قام بستة اشواط فقط ايبني ويعيد الركعتين أم يستأنف الطواف من جديد، أم كيف العمل؟

ج: اعلم أيها الأخ الكريم أن من نسي شوطا ثم خرج فصلى ركعتين وتذكر أن عليه شوطا نسيه فإنه يبني على الستة المتقدمة إذا لم ينتقض وضوؤه، وإذا أقيمت عليه الصلاة المفروضة فإنه يقطع وبعد انتهاء الصلاة يقوم في الحال ويبني على ما تقدم من الأشواط، فإن كانت إقامة الصلاة أثناء الشوط اي قبل تمامه فإنه يقطع ولا يعتد بذلك الشوط الذي قطعه إذ لا يعتبر من الأشواط إلا ما اتمه، ولا يقطع طوافه ما لم تتعين عليه الصلاة.

س: هل صحيح أن من ارتكب سيئة أو ذنبا بعد حج أو عمرة يلغي هذا الحج أو العمرة وتعود كل السيئات التي قد ارتكبها قبل الحج والعمرة؟

ج: اعلموا ايها السائلون الكرام أن من ارتكب سيئة أو ذنبا بعد حج أو عمرة لا يلغي حجه ولا عمرته ولا تعود اليه كل السيئات التي كان قد ارتكبها قبل الحج أو العمرة وإنما المطلوب منه أن يتوب إلى الله تعالى من الذنوب والسيئات التي كان يرتكبها قبل الحج أو العمرة والا يصدق عليه قول الشاعر:

حج اللئيم فظن أن الحج يغفر ذنبه فازداد ظلما للعباد بما فعل

وما يـــــدري الـــــجهول انــه أنجس ما يكون الكلب إذا اغتسل

يسقط الحج على غير المستطيع

س: ورد بمختصر " الحبل المتين" أثناء الكلام على شروط الاستطاعة في الحج قول الشارح على متن ابن عاشر ما نصه "ثم اعلم أن الاستطاعة معدومة في المغرب ومن لا استطاعة له لا حج عليه" وقبل ذلك تعطل الحج بسبب ظهور الخوارج، فهل هذا صحيح؟

ج: اعلم ايها الأخ الكريم أن الحج يجب على المستطيع فورا عند الايمة الثلاث: أبي حنيفة ومالك واحمد رضي الله عنهم متى توفرت شروط الاستطاعة التي هي امكانية الوصول إلى مكة دون مشقة مع الامن والقدرة الصحية والمادية. فإن اخر المستطيع عن اول عام قدر فيه يكون آثما بالتأخير ، قال عليه الصلاة والسلام : (من أراد منكم الحج فليتعجل) فقد تخونه فرصة المال أو سلامة البدن وقد يفقده الغد ما هو مستطيع اليوم والساعون إلى الله تطمئن قلوبهم وسيزيد الله المحسنين"

لهذا ذكر شارح متن ابن عاشر (1343 هـ) وهو مغربي أن الأمن على المال من اللصوص غير متوفر في عهده في المغرب فلهذا فقدت الاستطاعة ومن لا استطاعة له لا حج عليه.

تقرير صحفي

ندْوة الدفاع عن القرآن الكريم ومنْع كتابته بحروف غير عربيّة

أقام مركز التربية الإسلامية في باريس يوم الإثنين 1 أفريل 2024 م الموافق لـ 22 رمضان 1445 هـ ندوة رمضانية في مقرّه، حضرها ثلة من الأعيان (علماء وخطباء مساجد، وحفاظ ومعلّمي القرآن نساء ورجالًا)، يتقدمهم الأستاذ المفكر: ضيف الندوة السيد محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله (مدير ورئيس تحرير مجلة جوهر الإسلام الغرّاء)، وألقى فيها كلمة عصماء، ارتاح لها الجميع، وقدّروها حقّ قدْرها، لِما امتازت به من بُعد كبير، ومعنًى كثير، في سبيل رفع راية القرآن، والحِفاظ على نصّه، ودفْع عادية المعتدين على نصّه، بتبديل حروفه: من العربية إلى حروف أخرى: لاتينية وأعجمية، ليس لها من القداسة أو العصمة شيء؛ ثم تولى الشيخ عبد القادر عاشور إمام وخطيب مسجد عمر طرق هذا الموضوع، الذي دعا إليه المركز، فبيّن خطورة المِساس بنصّ القرآن، زعمًا من أجل التسهيل لمن لا يعرف العربيّة أو من يعتنق الإسلام.

ثمّ جاءت كلمة الفصل للشيخ صالح العَوْد مديره، والذي خبر الساحة، وتابع ما يجري فيها من دخن وتُرَّهات، واعتداء سافر على القرآن، مما تقشعر له الأبدان في هذا الزمان، وممّا قاله في اختصار: « إني كنتُ أتابع هذا الموضوع الهدّام لوثيقة القرآن الخالدة منذ عام (1985) وإلى الآن أي ما يقارب (39) عامًا، فوجدتُ أن المؤامرة على القرآن ظلّت تكبر وتزداد وتتطور من قصار سوره، ثم أحزابه، ثم بعض أجزائه، إلى أن انتهى المتآمرون على تحريفه، وتغيير حروفه، وطمْس رسومه المعتمدة في كتابته منذ عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، فوصل العابثون في مسارهم الآثم إلى إخراج «مصاحف» بديلة عن المصاحف العثمانية، تباع وتشترى على مرأى ومسمع المسلمين في أنحاء البلاد الأوربية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل مِن هذا الضلال المبين، الذي يجب صدُّه، وردُّه، وعدم التجاوب معه' مَهْما كانت نظريّة المحرِّفين بأيدي المسلمين المزعومين، وهم الذين صدق الله فيهم قوله وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41]

أملاه بلسانه وحرره ببنانه: ص.أ.س

حفل إحياء السنة والسّيرة النبوية في تُركيا

أحيت جامعة ابن خلدون (الحرة)في اسطمبول بتركيا حفلاً عِلْميّا عالَمِيّا مُمَيَّزًا : يوم الجمعة 7 رجب –1445 هـ الموافق لـ 19 جانفي 2024 م تحت إشراف المحدّث الشيخ محمد عوَّامة شيخ الحديث بمسجد السليمانية – حيث مرقد سلطان تركيا الشهير سليمان القانوني رحمه الله وطيب ثراه .وكان محور فقرات هذا الحفل الجَلل ، ثلاث :

1 ــ ختم قراءة كتاب : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين السيوطي.

2 ــ إعلام المحدث محمد عوامة بانتهاء توثيق وتحقيق وتعليق كتاب : (سنن الامام الترمذي)، بمشاركة فريق علمي ممتاز ما بين أساتذة وطلبة .

3ـ افتتاح البدء في تحقيق أوسع كتاب في السيرة النبوية والشمائل المحمدية ، وهو شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للإمام القَسْطَلاَني.

ومِمَّا يَلْفِتُ النظر في هذا الحفل السَّنِيّ ، أن حضره رجالُ الذكر والفكر من (35) دولة، فضلا عن رئيس الجمهورية التركية وحاشيته من الوزراء، والسادة العلماء ، وكبار اساتذة وأكاديمي الجامعات التركية؛ وبعد أن افتتح الحفلَ فضيلةُ رئيس أئمة مسجد السليمانية المقرئ أكرم نالبانت، بآيات كريمة من الذكر الحكيم ، بصوت عذب رخيم، تقدم الدكتور محمد غورمز رئيس الشؤون الدينية الأسبق – جاء فيها: «في هذه الجلسة نِعَمٌ عديدة »

ـ أمّا (النعمة الأولى) : إحياء الغاية التي أنشئ لأجلها هذا الصرح العظيم (السليمانية) فهو ليس مسجدا فحسب، وفيه كَتَبَ [الامام أبو السعود] تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، وغيره من كتبه الكثيرة الثمينة.

ـ أمّا(النعمة الثانية): إن في الحديث الشريف سلسلة ذهبية، وهي : مالك عن نافع عن ابن عمر؛ وأنا أقول :لدينا اليوم في منهجية الحديث وعلومه أيضا سلسلة ذهبيّة ، وهي: محمد زاهد الكوثري، يروى عنه عبد الفتاح أبو غدّة ، ويروي عنه الشيخ محمد عوّامة حفظه الله :شيخ دار الحديث السليمانية .وفي ختام هذا الحفل قام الدكتور عرفان غوندوز– رئيس مجلس أمناء الجامعة – بتوزيع «الإجازة العلمية»، على الأساتذة والطلبة الذين ختم معهم الشيخ قراءة كتاب (تدريب الراوي) مرفقة بهدية كتاب :(غاية الأماني في تفسير الكلام الربّاني)، للإمام مُلاّ الكوراني .ومسك الختام إعلان رئيس الدولة عن انشاء مركز دُوَلي لخدمة السنة والسيرة النبوية .

ص . أ . س

مقاصد الشريعة: الإطار الناظم للاقتصاد الإسلامي

ندوة البركة للاقتصاد الإسلامي في دورتها 44

بقلم الأستاذ محمد إلياس المحرزي

عُرّف الاقتصاد الإسلامي من المشتغلين فيه بأنّه مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي جاءت بها نصوص الشريعة ومقاصدها، والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان. وفي إطار البحث لا عن حلول اقتصادية متلائمة مع الشريعة الإسلامية ومبادئها فقط وإنما لرفع التحديّات وابتكار آليّات خاصّة بالمؤسّسات الماليّة الإسلاميّة بشقّيها الرّبحي (مصارف – شركات تأمين) وغير الرّبحي (المؤسّسات الوقفيّة– صناديق الزكاة – مؤسسات القرض الحسن) ؛ نظّم منتدى البركة للاقتصاد الإسلامي الدورة 44 لندوة البركة للاقتصاد الإسلامي والتي تعقد وللمرّة الثانية على التوالي-كما أراد لها باعثها وصاحب الأيادي البيضاء على تونس المرحوم الشيخ صالح عبد الله كامل وبسعي دؤوب من عائلته الماجدة وعلى رأسها ابنه البار الأستاذ عبد الله صالح كامل حفظه الله-بالمدينة المنور ةمنشأ الاقتصاد الإسلامي ومنبعه حيث أسس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق المسلمين ووضع له قواعد العمل وضوابطه إعلانا منه عن استقلالية دولة الإسلام وسيادتها الاقتصادية والمالية. وقد اختار القائمون على هذه النّدوة عنوانا لها موسوما بـ: «**مقاصد الشريعة: الإطار الناظم للاقتصاد الإسلامي**»، وجرتف عاليّاتها بجامعة الأمير مقرن أيّام 28-29 فيفري 2024 تحت رعاية سامية من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة.

عرفت الندوة مشاركة علماء وباحثين ومهنيين من مختلف أصقاع المعمورة جاؤوا ليسهموا بخبراتهم ويتبادلوا تجاربهم. وقد بحثت الندوة جملة من المحاور والمواضيع في عدّة جلسات بداية من الجلسة الأولى التي ترأسها معالي الشيخ سعد الدين الشثري

عضو هيئة كبار العلماء وعضو الديوان الملكي للمملكة العربية السعودية والتي تناولت مبحث التأصيل والتفعيل لمقاصد الشريعة في مجال الاقتصاد الإسلامي تحقيقا لمقاصدها العامّة ولكلياتها الخمس ومنها بالأساس كليّ حفظ الدين والنفس والمال، وقد تميزت هذه الجلسة بمشاركة الدكتور محمد النّوري رئيس المجلس الفرنسي للمالية الإسلامية وأستاذ الاقتصاد والمالية الإسلامية بالجامعات التونسية والفرنسية وصاحب كتاب مقاصد الاقتصاد الإسلامي ألقى خلالها على الحاضرين ورقة بحثية بعنوان:»البناء التأصيلي لمقاصد الاقتصاد الإسلامي».

أما الجلسة الثانية والتي ترأسها فضيلة الشيخ الدكتور قطب سانو أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة وخريج جامعة الزيتونة، كانت بعنوان أدوات الاستثمار الإسلامي في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية قدّم خلالها المشاركون أدوات وطرقا وحلولا للاستثمار في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

أما الجلسة الثالثة فكانت بعنوان «المصرفية الإسلامية في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية» والتي سجلت مشاركة فضيلة الشيخ الدكتور إلياس دردور رئيس قسم الشريعة والقانون بالمعهد العالي لأصول الدين جامعة الزيتونةب وصفه معقّبا على ورقات الجلسة حيث أكد على ضرورة تحديد نوع المقصد المراد تأصيله وتنزيله في سلم المقاصد هل هو من المقاصد القطعية أو الظنية أو هو من المقاصد العامة أو الخاصّة أو الجزئيّة حتى لا يسير الفقيه على أرض متحركة ويتناسب المقصد مع الحكم المستنبط ومن ثمّ لا تهدم الأحكام الشرعيّة من باب إعمال المقاصد.

وفي الجلسة الرابعة المعنونة بـ:»دور الأطر المقاصدية في تحسين خدمات المؤسسات المالية الإسلامية وتصنيفها» والتي ترأسها فضيلة الدكتور نظير محمد عياد أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فقد وقع التطرق إلى ضرورة تفعيل البعد الأخلاقي القيمي للاقتصاد الإسلامي باعتباره مقصدا من مقاصد الشريعة فهو ما يميّز الاقتصاد الإسلامي على الرأسمالية المتوحشة من خلال إعمال المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الإسلامية وضرورة عدم إهمال البعد التكافلي والتضامني في المعاملات الإسلامية.

ولا يفوتني أن أنوّه إلى نقطة هامّة حريّة بالاعتبار وهي أنّ جلّ الورقات البحثيّة والمداخلات والتعقيبات سواء باللغة العربية أوالإنجليزية لم تخل من إيراد أقوال سماحة العلامة الإمام الأكبر محمّد الطاهر ابن عاشور وتأصيله لفقه المعاملات في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية مع التنويه بمكانة علم من أعلام الزيتونة داعية الباحثين في توصيات مداخلاتهم إلى النسج على منواله ومواصلة طريق بناء هذا الفنّ والإسهام فيه.

أما اليوم الثاني للندوة فقد افتتح بجلسة علمية قيمة بعنوان «تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية بتفعيل أدوات الاقتصاد الإسلامي غير الربحي»إذ أن من مميزات الاقتصاد

الإسلامي أنه غير مقتصر على الجوانب الربحية فقد عرف على مدى تاريخه الطويل الممتد على 15 ق بمؤسسات مالية واقتصادية ليس الهدف منها الربح على غرار مؤسسات الوقف وبيوت الزكاة.

أما الجلسة الأخيرة فكانت عبارة عن جلسة حوارية أدارها باقتدار الدكتور حامد ميرة الرئيس التنفيذي للمركز السعودي للتحكيم والأمين العام السابق لمؤسسة الأيوفي وشارك فيها سعادة الأستاذ يوسف الخلاوي أمين عام منتدى البركة والتي شهدت مداخلة قيمة من ضيف الندوة سماحة مفتي الجمهورية التونسية الشيخ هشام بن محمود أبرز خلالها الدور المهم للمؤسسات الإسلامية الذي يجب أن تضطلع به اليوم خاصة بعد إخفاق التجربتين الاشتراكية والليبرالية إعمالا لمقاصد الشريعة الإسلامية في التمكين وفتح أبواب الأمل والعيش الكريم أمام الضعفاء والمحتاجين فضلا عن توفير البديل الحلال للمؤسسات الاقتصادية. لتختتم فعاليات الندوة بالإعلان عن موضوع الندوة للسنة المقبلة وهو «مستقبل المصرفية الإسلامية بعد رحلة 50 عاما».

هذا وقد ألقى الدكتور إبراهيم بيومي أستاذ العلوم السياسية بالجامعة المصرية محاضرة بعنوان «الأوقاف والمقاصد الشرعية: قراءة حضارية لأثر الأوقاف»، كما تمّ عقد ورشة عمل بعنوان:»مقاصد الشريعة: مقدّمةٌ عملية لمؤسسات المالية الإسلامية»أشرف عليها فضيلة الشيخ الدكتور محمد قيراط أستاذ فقه المعاملات المالية بكلية الشريعة بفاس بالمغرب فضلا عن انعقاد لقاء تفاكري للهيئة الشرعية الموحدة لمجموعة البركة مع الهيئات الشرعية المحلية وأجهزتها الشرعية المساندة (المراقبين الشرعيين والمدققين الشرعيين)موضوعه «التعثّر في سداد مديونيات المصارف الإسلامية وطرق علاجها» بوصفه أحد المشكلات التي تعاني منها بعض البنوك الإسلامية قصد الخروج بحلول تسهم في التقليل من آثار هذا الخطر الذي يهدد عمل المصارف الإسلامية وسيرورتها.

وقد عرفت الندوة مشاركة تونسية مكثفة ومتميزة فإضافة إلى من ذكرنا شارك في فعاليات الندوة سعادة الأستاذ حسام الحاج عمر الرئيس التنفيذي لمجموعة البركة،وسعادة الأستاذ محمد المنصر المدير العام لبنك البركة تونس، وسعادة الأستاذ رضوان خليع المدير العام المساعد لبنك البركة تونس، والشيخ الدكتور رائف الفقيه أستاذ الفقه وعلومه بجامعة الزيتونة وعضو الهيئة الشرعيّة لبنك البركة تونس، ومحرّر هذا المقال بوصفه رئيس قسم التدقيق الشرعي ببنك البركة تونس.

وفي الختام نسأل الله التوفيق والسدّاد وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

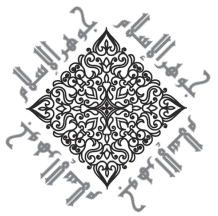

الاجتهاد المقاصدي وأثره في نوازل الأقليات المسلمة

-دراسة تأصيلية ونماذج تطبيقية-

د. جواد مكين

فقد عرفت الحياة البشرية اليوم تطورا مذهلا ومعقدا؛ ممّا جعلها تفرز يوميا قضايا شتى ومعضلات متنوعة، ولعل الأقليات المسلمة التي تعيش خارج البلدان الإسلامية أكثر من ابتليت بهذه المستحدثات والمستجدّات؛ نظرا لاختلاف ظروفها وواقعها عن المجتمعات المسلمة؛ وقد اتخذت هذه الوقائع والمستجدات في طابعها العام بُعدا فقهيا، الأمر الذي يستدعي نظر فقهاء الشريعة الإسلامية واجتهادهم فيما يواجه هذه الأقليات من مشكلات وتحديات.

ومن المعلوم أن معالجة نوازل هذه الأقليات المسلمة يعتمد بشكل كبير على الاجتهاد المقاصدي، الذي له الفصل في الترجيح والاختيار في كثير من هذه النوازل؛ ذلك أن المقاصد الشرعية تمثل كعبة المجتهدين، وهي بمثابة الروح للشريعة الإسلامية، ولا يمكن لهذه الشريعة أن تستجيب لحاجات الناس، وأن يكون لها فقه يساير النوازل الطارئة دون الاستنجاد بالمقاصد واعتبارها في عملية الاجتهاد الفقهي.

هذا، ويحسن التنبيه إلى أن الاجتهاد المقاصدي لا يعني عدم التقيد بضوابط الشرع، أو الضرب في ثوابت الإسلام ومسلماته، بذريعة ما هو ماثل في الواقع باسم المقاصد والمصالح المتوهمة؛ بل هو اجتهاد مقيدبسياج من الأدلة والقواعد المحكمة والضوابط الشرعية، التي تنفي عنه انتحال المبطلين وتسيب المتطفلين.

في هذا السياق؛ جاء هذا البحث الموسوم ب:"الاجتهاد المقاصدي وأثره في نوازل الأقليات المسلمة-دراسة تأصيلية ونماذج تطبيقية- "؛ لأجل الخروج بنتائج تكون خادمة له موضوعا ومنهجا، بما يمكّن من ترشيد النظر الاجتهادي والإفتائي في نوازل

الأقليات المسلمة، ومواكبتها بما يدعم الاستقرار الجماعي لهذه الأقليات المسلمة في ظل تعدد الحوادث والأقضية، وفي ضوء تغير المصالح وطبيعة المشكلات.

1 ـ أهمية البحث وقيمته العلمية:

تتجلى أهمية البحث في هذا الموضوع في الآتي:

أ ـ الأهمية العلمية:

وتتجلى في إثراء المكتبة الفقهية بالدراسات العلمية في مجال يربط بين مقاصد الشريعة وأثرها في معالجة النوازل المستجدة والمعاصرة لدى الأقليات المسلمة، والإسهام في تنشيط حركة البحث الفقهي في فقه الأقليات المسلمة بما يخدم الباحث والقارئ.

ب ـ الأهمية العملية:

وتبرز في:

– قدرة الاجتهاد المقاصدي على إيجاد الحلول لما يواجه المسلمين في بلاد الغرب من نوازل وأقضية، من غير تجاوز للضوابط الشرعية والقواعد المرعية.

– الكشف عن وظيفة الاجتهاد المقاصدي في الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة حول نوازل الأقليات المسلمة، بما يبين أن الشريعة الإسلامية شريعة مستوعبة لمختلف مناحي الحياة مهما تطورت، وحيثما وجدت.

–تعَرُّض الأقليات المسلمة لأنواع من المسائل والمستجدات في مختلف الأبواب الفقهية، يفرض على المجتهد الالتفات إلى المقاصد بضوابطها المشروعة؛ للإجابة على تساؤلاتها، والحفاظ على هويتها، ومن ثم الارتقاء لتبوء مكانة هامة وفاعلة في مجتمعاتها.

–إعانة فقيه الأقليات على تلبية حاجات العصر الفقهية، عن طريق التوصُّل إلى ضوابط وقواعد ناظمة للاجتهاد المقاصدي في نوازل فقه الأقليات؛ فتكون خير معين له على مقارعة صعاب النوازل وتقويم اعوجاج المسائل.

2 ـ أسباب اختيار البحث:

إذا كان لكل بحث علمي أسباب تستدعي إنجازه والقيام به، فإن الذي شجعني على اختيار البحث في هذا الموضوع عوامل عدة، أذكر من بينها:

– ما يكتسيه الموضوع من أهمية؛ إذ إن ذلك سبب رئيس لاختياره للدراسة والبحث.

–الحاجة الماسة لبيان ضوابط الاجتهاد المقاصدي وأهم مسالكه، وقواعده في فقه الأقليات المسلمة، تجنبا لاضطراب الفتوى، ولكل اعتساف قد يلحق بهذا المقام العالي من الشريعة.

– وجود اختلاف في الاجتهادات والفتاوى المتعلقة بنوازل الأقليات المسلمة؛ حيث تعارضت فيها المواقف الفقهية الحديثة، وبرزت حولها بعض الآراء والفتاوى

المتباينة، فأردت من خلال هذا البحث إبراز وظيفة الاجتهاد المقاصدي في التوفيق بين هذه الآراء والترجيح بينها مقاصديا.

3 ـ مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في الإجابة على السؤال المركزي الآتي: إلى أي حد يمكن للاجتهاد المقاصدي أن يسهم في تقديم الحلول للإشكالات والقضايا التي تنزل بالأقليات المسلمة في بلاد الغرب ؟، ويتناسل عن هذا السؤال المركزي مجموعة من السؤالات التي تستوجب الإجابة عليها، من أهمها:

-ما المقصود بالاجتهاد المقاصدي، ونوازل الأقليات المسلمة؟

-كيف يمكن ممارسة النظر المقاصدي في تخريج المسائل المعاصرة للأقليات المسلمة؟

-ما الضوابط والقواعد الناظمة للاجتهاد المقاصدي في نوازل الأقليات المسلمة، وما أهم مسالكه؟

-هل للاجتهاد المقاصدي دور في الترجيح بين الآراء الفقهية والتوفيق بينها؟ وما مدى حضور النظر المقاصدي في صناعة فتوى الأقليات المسلمة؟

4 ـ أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- التعرف على مفهوم الاجتهاد المقاصدي، ومدى أهميته في الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة حول ما يجدّ من أقضية للأقليات المسلمة.

-إدراك المجتهد أنه لا غنى له عن المقاصد في عملية التوصل إلى استنباط الأحكام الشرعية وتنزيلها على أفراد الوقائع خاصة فيما له صلة بنوازل الأقليات المسلمة.

- إبراز أهم ضوابط الاجتهاد المقاصدي ومسالكه وقواعده، ودورها في تجنب الاضطراب الحاصل في صناعة فتوى الأقليات المسلمة.

- الإسهام في الدراسات المنهجية لفقه الأقليات المسلمة قصد تجديد مسارها لمواكبة التغيرات العالمية الكبرى، من خلال الربط بين علم المقاصد والنوازل المستحدثة لدى الأقليات المسلمة.

5 ـ خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، ثم خاتمة متبوعة بفهارس:

أما المقدمة فتطرقت فيها لأهمية الموضوع محل الدراسة وأسباب اختياره ومشكلته، ثم الأهداف المسطرة له، ثم عرجت على الدراسات السابقة في الموضوع، فبيان المنهج المتبع ومنهجية عرض مادة البحث، وخطته.

وأما التمهيد فخصصته لضبط مصطلحات الدراسة، والمتمثلة في الاجتهاد المقاصدي ونوازل الأقليات المسلمة، وذلك في مطلبين.

وأما الفصل الأول وعنوانه: " في بيان حاجة الأقليات المسلمة إلى الاجتهاد المقاصدي وتحديد ضوابطه وأهم مسالكه "، فقد جعلته على ثلاثة مباحث، الأول منها في بيان حاجة الأقليات المسلمة إلى الاجتهاد المقاصدي، أما المبحث الثاني فموضوعه الحديث عن ضوابط الاجتهاد المقاصدي في نوازل الأقليات المسلمة، وأما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن مسالك الاجتهاد المقاصدي في نوازل الأقليات المسلمة.

وأما الفصل الثاني فوسمته بـــ:" القواعد المقاصدية الناظمة لنوازل الأقليات المسلمة"، وجعلته على ثلاثة مباحث، الأول منها في بيان القواعد المقاصدية المتعلقة بمقاصد المكلفين ومآلات الأفعال، أما المبحث الثاني، فخصصته للحديث عن القواعد المقاصدية المتعلقة بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وأما المبحث الثالث فموضوعه القواعد المقاصدية المتعلقة بأحكام الوسائل.

وأما الفصل الثالث وهو الجانب التطبيقي في الدراسة، وعنوانه: "تطبيقات الاجتهاد المقاصدي في نوازل الأقليات المسلمة"، جعلته على أربعة مباحث، الأول منها لبيان حكم إرث المسلم من أقاربه غير المسلمين، أما المبحث الثاني، فكان للحديث عن حكم المشاركة السياسية للمسلمين في بلاد غير المسلمين، وأما المبحث الثالث فموضوعه حكم إيداع الأموال في البنوك الربوية وصرف الفوائد في وجوه الخير، والمبحث الرابع لإبراز حكم إعطاء الزكاة للمراكز الإسلامية ببلاد الغرب.

وختمت البحث بخاتمة ضمنتها نتائج البحث والتوصيات المقترحة، وذيلته بفهارس تشتمل على فهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات أعرضها وفق الآتي:

أهم النتائج:

-الاجتهاد المقاصدي هو بذل الفقيه الجهد، واستفراغه الوسع بالاستنجاد بالمقاصد في عملية الوصول إلى الحكم الشرعي، وتنزيله على أفراد الوقائع، بما يحقق مصالح العباد في الدارين.

-نوازل الأقليات المسلمة هي ذلك الفرع العلمي من فروع فقه النوازل، ويعنى بدراسة مختلف النوازل والمستجدّات للأقليات المسلمة التي تعيش خارج بلاد الإسلام.

-إن إعمال الاجتهاد المقاصدي في النوازل والحادثات التي يثبت حكمها الشرعي بطريق القطع، يعد فاقدا للمشروعية، ومن ثم يبطل مسلك الاجتهاد المذكور، ولا يعتدّ به ولا بما أفضى إليه من نتائج.

-الناظر في نوازل الأقليات المسلمة بحاجة إلى إعمال الاجتهاد المقاصدي، والوقوف على حِكم الشريعة، وأسرارها؛ فإعمال المقاصد يزيد من أرجحية الفتاوى المعاصرة، ويبعدها عن الانفصام عن الواقع والشذوذ، ويجنبها الضعف.

-إعمال الاجتهاد المقاصدي يقتضي التقيد بجملة من الضوابط، وهي على قسمين: ضوابط عامة وأخرى خاصة؛ واستحضار هذه الضوابط أثناء النظر في نوازل الأقليات المسلمة، من شأنه أن يسهم في إحكام الفتوى من كل تسيب أو اعتساف، كما يضمن سلامة الاجتهاد المقاصدي، حتى لا ينتهي إلى الشرود عن أصول الشريعة المحكمة، باسم المصالح المتوهمة.

-للاجتهاد المقاصدي في نوازل الأقليات المسلمة مسالك عديدة، أبرزها مسلك العدول عن القياس الكلي إلى مصلحة جزئية، ومسلك تعدية الاستنباط بالنظر المقصدي، ومسلك تقديم الأنفع والأصلح بالموازنة بين المصالح الدينية والدنيوية، ومسلك النظر في المآلات، ومسلك تحقيق المناط الخاص، ومسلك تحقيق الأقرب إلى المقصود وإن كان على خلاف الظاهر.

-إن القواعد المقاصدية الناظمة لنوازل الأقليات المسلمة، ليست قواعد جديدة، بل هي قواعد موجودة في التراث الفقهي، لكنَّ لها ارتباطا وثيقا بواقع الأقليات المسلمة، وتؤول في الجملة إلى ما يأتي: قواعد متعلقة بمقاصد المكلفين ومآلات الأفعال، وقواعد متعلقة بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وقواعد متعلقة بأحكام الوسائل.

-ما عرض من نماذج تطبيقية لما جدّ من نوازل في بلاد الغرب، يؤكد على أهمية الاجتهاد المقاصدي في إيجاد الحلول الملائمة لظروف هذه الأقليات المسلمة؛ كما يبين شمول الشريعة الإسلامية، وقدرتها على مسايرة الوقائع المستجدة، وإيجاد الحلول لها في كل زمان ومكان.

أهم التوصيات:

-تشجيع البحث في الدراسات المتعلقة بموضوع الاجتهاد المقاصدي، وأثره في نوازل الأقليات المسلمة حلا وحرمة.

-إقامة دورات وورشات تدريبية لطلبة العلم والباحثين في مهارات التعامل مع قضايا الأقليات المسلمة، وما تستلزمه من دراسة وبيان؛ وصولا إلى المعالجة المتوازنة ضمن قواعد الشرع ومقاصده.

- دراسة فتاوى المؤسسات الاجتهادية الساهرة على الإفتاء في نوازل الأقليات المسلمة، ومناقشتها وتحليلها، بدراسات متخصصة، تهتم ببيان أثر الاجتهاد المقاصدي في الترجيح والتوفيق بين الآراء الواردة في نوازلها المختلفة؛ لاسيما مع الظروف التي تمر بها هذه الأقليات اليوم.

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

... متابعات وقراءات وأصداء ..

غادرنا إلى دار البقاء في الفترة الأخيرة اعلام من تونس ومن مختلف البلدان العربية والإسلامية تاركين لوعة واسى شديدين في قلوب من عرفوا فضلهم واستفادوا من علمهم في قايم حياتهم وبما تركوه من اثار علمية .

وقد تشرفت مجلة جوهر الإسلام (في سلسلة إصدارها من السنة الأولى إلى السنة السابعة عشرة) بنشر بحوثهم ودراساتهم التي خصوها بها رحمهم الله واجزل مثوبتهم.

1ـ فضيلة الشيخ محمد بن يونس السويسي التوزري العباسي (2024/1928) ـ رحمه الله

تولى التدريس في الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين التي تخرج منها حاملا لشهادة الدكتوراه كما درس في جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة (الجزائر) وترك عديد المؤلفات منها اطروحته (الفتاوى التونسية في القرن الرابع عشر هجري) في مجلدين . وكتاب النية في الفقه الإسلامي متبوعا بتحقيق كتاب الأمنية في ادراك النية لشهاب الدين احمد بن ادريس القرافي . وكتاب الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر فيما نشر له من الفتاوى خلال القرن الرابع عشر الهجري. وكتاب المنجيات والموبقات في الادعية للعلامة شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي المالكي. وقد تولت دار سحنون بتونس اصدار هذه المؤلفات عممت بها الإفادة وساهمت بها مساهمة مشكورة في التعريف باعلام تونس رحم الله الشيخ محمد بن يونس السويسي التوزري واجزل مثوبته بقدر ما انتفع الناس باثاره العلمية.

فضيلة الشيخ عبد اللطيف الشويرف(2024/1931) رحمه الله ـ

احد كبار علماء ليبيا وشيوخها اثرى المكتبة بعديد المؤلفات بالخصوص في مجال اللغة العربية التي صدرت وقررت في المعاهد وفي كلية الدعوة بطرابلس التي كان من اسرة التدريس فيها. وللشيخ عبد اللطيف الشويرف رحمه الله أنشطة عديدة امتدت لعقود طويلة في الإذاعة المسموعة والمرئية في ليبيا و نشرت له الصحف والمجلات في ليبيا وفي تونس المقالات والبحوث العديدة نشرت بعضها مجلة جوهر الإسلام في حياة مؤسسها صديقه الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله نامل من ابنايه واسرته ان يتولوا جمعها ونشرها تعميما للفائدة وصدقة جارية من بعده يلحقه ثوابها رحمه الله واجزل مثوبته.

اصدارات وكتب

* مقالات الأستاذ محمد مسعود جبران رحمه الله (1946/ 2023) الصادرة في مجلة «جوهر الإسلام» جمعها واعتنى بها نجله الدكتور محمد رضا جبران في كتاب عنوانه «القدوة واثرها في حياة مسعود جبران وجمهرة مقالاته بمجلة جوهر الإسلام»، نشر مكتبة دار الوليد وقدمها الدكتور خالد العود مع مقدمة ضافية عن حياة ومسيرة ومنهج الدكتور محمد مسعود جبران رحمه الله في الدعوة و نصوص المقالات التي نشرها في مجلة جوهر الإسلام والتي حاور فيها ثلة من العلماء وترجم للبعض الآخر وهم تباعا الأساتذة والشيوخ (محمد ابوزهرة وإبراهيم نياس ومحيي الدين بن عربي ومحمد الطاهر ابن عاشور ومالك بن نبي ومحمدعبد القادر المبارك وعمر بهاء الدين الاميري والحبيب المستاوي والإصلاح ا لتعليمي عند الامام محمد الطاهر ابن عاشور ومحمد الفاضل بن عاشور ومحمد الخضر حسين)رحمهم الله وشكر الله الدكتور رضا جبران ونفع به.
* الكتاب الثاني يحمل عنوان (الأستاذ الدكتور محمد مسعود جبران دموع حرى وانفاس) وفية في تابينه جمعه واعتنى به د. رضا محمد جبران وقدمه الأستاذ الاديب عمر لطفي وقد ضم هذا الكتاب (في 246 صفحة) هي الكلمات والقصائد الشعرية التي القيت في حفل التأبين الذي احتضنته كلية التربية في طرابلس بالإضافة إلى صور لمن شاركوا في لقاء الوفاء لروح الأستاذ الدكتور محمد مسعود جبران رحمه الله واجزل مثوبته واسكنه فراديس جنانه.

* كتاب القول المفيد فيما ينفع امواتنا المسلمين. الساعة واشراطها. وكتاب الادب المفرد وهي من تاليف وتحقيق الشيخ الدكتور سليم علوان امين دار الإفتاء في

استراليا وإصدار دار المشاريع بلبنان.

* كتاب مقتطفات من نبع القران والسنة تاليف الأستاذ صالح محمد الحامدي
* كتاب تراث ابي القاسم القشيري دليل ببليو غرافي من اعداد الأستاذ فرانسيسكو تشيا بوتي مارتن نجوين نقله إلى العربية احمد محمد إبراهيم(تراث)

* مناقب المغارة والمقام وأصحاب الامام الشاذلي الأربعين
* الطريقة الشاذلية في اول عهدها بتونس نصوص من التراث المنقبي التونسي تحقيق الدكتور عبد الهادي النجار تقديم محمد صلاح الدين المستاوي
* الإفتاء في الإسلام نشأته ومؤلفاته اعلامه تاليف الشيخ صالح العود نشر مكتبة سلمى الثقافية تطوان المغرب
* غزة زفاف الشهداء وانتصار الإسلام تاليف الشيخ الدكتور زهيرالجندوبي نشر دار الزيتونة

****

ـ الالكسو(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) تكرم الدكتور محمد المختار ولد اباه (2023/1924) رحمه الله

اقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبمبادرة من مديرها العام الأستاذ ولد عمر حفل تكريم انتظم في مقرها بتونس للأستاذ محمد المختار ولد اباه رحمه الله القى فيها الأستاذ احمد ولد باه نجل الفقيد كلمة شكر للمنظمة ومديرها العالم على هذه المبادرة وقدم عرضا لمسيرة والده العلمية الثرية بالعطاء العلمي الجاد في شتى مجالات الثقافة والعلوم الإسلامية وقد تولى العديد من المسؤوليات في موريتانيا وخارجها في المنظمات العالمية والإقليمية (اليونسكو والاسيسكو والالكسو ومنظمة التعاون الإسلامي ورئاسة جامعة شنقيط في نواق الشط بموريتانيا) وترك عديد المؤلفات نذكر منها (ترجمة معاني القران إلى اللغة الفرنسية. وفي موكب السيرة النبوية. ومدخل إلى أصول الدين واشراق البدر على الصحابة من اهل بدر. وخلاصة الأدلة من كتابي التجريد واختصار التمهيد. وديوان محمد المختار ولد اباه. وشعراء وقصائد من فرنسا تراجم وترجمات. وكتب ومقالات .وحلقات في مقرا الامام نافع. وتاريخ التصوف. ومجموعة الانظام. ودليل و نوادر المخطوطات في مدينة شنقيط. وتاريخ النحو في المشرق و المغرب. وتاريخ القراءات في المشرق والمغرب .وغيرها من المؤلفات العلمية. رحم الله العلامة محمد المختار ولد باه واجزل مثوبته.

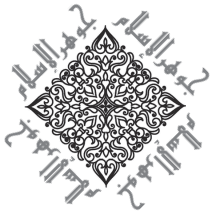

المعذبون في الأرض

بقلم صالح الحاجة

ودعت قبل أيام قليلة امرأة جريدية كنت أشم عليها رائحة توزر...وبخور توزر...وبيوت توزر..

ودعت شبحها ..أو خيالها .. أو ما بقي منها...

في الخمسين من عمرها تركها زوجها وغاب عنها الغياب الذي ما بعده غياب ..

في الخامسة والخمسين احنى الفقر ظهرها..

في الستين فقدت بصرها...

في السبعين استولى الاحتياج على ما عندها من لحم وشحم...

في الثمانين أصبحت تدب دبيب نملة...

في التسعين لم تعد تسمع...

على أبواب المائة زارها مفرق الأحباب وهادم اللذات فاستجابت لدعوته..

عاشت طويلا وبلغت المائة حول رغم أهوال الفقر والبؤس والعذاب...

هل تعرفون كيف صمدت؟..

صمدت بفضل الصبر والاستغناء والاكتفاء...

لقد وهبها الله الشعور بالرضا...

والرضا نعمة لو تعلمون...

رحم الله تلك المرأة التي كنت أرى من خلالها صورة من صور طه حسين في كتابه الرائع: «المعذبون في الأرض» ومن حزن إلى حزن...

من تلك المرأة البائسة وجدت نفسي في قلب محرقة غزة وهي اكبر وافظع مأساةفيزماننا‌هذا..زمنالجريمةوالظلموتدميركل القيمالإنسانية»...

اؤكد لكم انني رأيت الجحيم على الأرض...

كل يوم أراه أمامي في ذلك القطاع البعيد القريب...

وعندما أرى ما يفعل بالأبرياء وخصوصا من أطفال اكره حياتي...ويكاد قلبي يتوقف..

قبل قليل عرفت أن أحد الأطفال (7 سنوات) وجد نفسه وحيدا شريدا...لا أهل ولا أقارب..

وعثر عليه رجل طيب في الشارع وهو أزرق اللون فحمله إلى المستشفى وما إن وصل حتى فاضت روحه..

قال الأطباء انه أزرق من شدة البرد ومات بسبب البرد...

إنه الجحيم فوق الأرض الذي لا يرحم الصغار ولا الكبار...

تمنيت لو لم أعش في هذا الزمن الكلب.

نقشة في جريدة الصريح اون لاين

لماذا تبخلون على هذه المطبوعة(جوهر الإسلام) بالدعم

بقلم صالح الحاجة

اهداني صديقي محمد صلاح الدين المستاوي العدد الجديد من مجلته الصامدة «جوهر الإسلام» وأنا أتصفح هذا العدد اشفقت مرة أخرى على الصديق العزيز. اشفقت عليه لان تحمل أعباء اصدار مجلة في هذا الزمن فوق طاقة الفرد ولكنه الغرام والدودة والمحنة الله لا يجازيهم خير

ولا يعرف الشوق الا من يكابده ولسائل أن يسأل ما ضر لو اشترت وزارة الشؤون الدينية ووزارة الثقافة ووزارة التربية والالكسو وغيرها من المؤسسات كمية منتظمة من هذه المجلة الراقية،

ألا تستحق مطبوعة كهذه الدعم الذي يساعدها على الصمود والاستمرارية والانتظام في الصدور وبالتالي نفع الناس.

شكرا جزيلا للصديق الشفوق صاحب جريدة الصريح الأخ صالح الحاجة على مشاعره النبيلة والشيء من مأتاه لا يستغرب ولا يعرف الفضل إلا ذووه

D'autres ont clairement élucidé la question
Disant que si la conviction est acquise sur la foi d'autrui
Cela suffit, sinon l'imitation nuit.
Ton premier devoir, sois-en certain :
Connaître Dieu, quoi qu'en disent certains.
Ton propre être, il te faut scruter
Puis les mondes céleste et terrestre observer
Tu y trouveras merveilles et sagesses de Son œuvre
Portant pourtant de son néant la preuve
Toute chose qui peut ne pas exister
L'éternité pour elle est pure impossibilité.
L'*îmân* est interprété comme étant la foi
Le désaccord porte sur son témoignage à haute voix
Selon les uns, c'est une condition comparable à un acte
Pour les autres, c'est un élément essentiel, tandis que l'acte
C'est l'islam, comme faire le pèlerinage et prier
Donner l'aumône rituelle et jeûner
Plus le nombre de bonnes actions croît
Plus la foi augmente et plus l'homme croit
De même, la foi décroît si les œuvres diminuent
Mais il existe à ce propos plusieurs points de vue.
Sont chez Dieu nécessaires la Pré éternité et l'Etre
Son Eternité est telle qu'Il ne cessera jamais d'être
De toutes choses sujettes au néant
Il est totalement différent puisqu'Il est sans avant
De même l'Autosuffisance et l'Unicité.
Transcendant par Ses sublimes qualités
Il n'a nul opposé, semblable ou partenaire
Ni ami, ni progéniture ni père
A Lui aussi Puissance et Volonté
Qui n'est pas nécessairement ce qu'Il ordonne, connaît et agrée
Quant à Sa Science, on ne dit pas qu'Il l'acquiert
Suis donc la voie du Vrai loin des chimères
La Vie, la Parole, l'Ouïe, la Vue
D'après la tradition sont Ses attributs.
Est-Il doué d'entendement ? Il y a divergences
Certains préférant garder le silence.

A suivre…

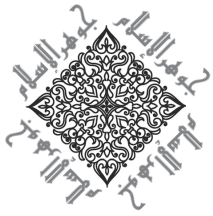

JAWHARAT AL-TAWHID
La perle précieuse de l'Unicité divine

Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî (m. 1041/1631)
(traduction par Abd-al-Wadoud Gouraud)

Louange à Dieu pour tous Ses dons
Puis Ses Grâces et Ses Salutations
Sur un prophète portant l'Unicité
Là où la religion en avait été dépouillée
Il guida les hommes vers la religion vraie
Par son glaive et sa conduite au service du Vrai
Muhammad, des messagers divins, est le dernier
Bénis soient sa famille, ses compagnons et ses alliés.
Sur ce, connaître les principes de la religion
Est un devoir exigeant claire exposition.
Les longs écrits ont émoussé les résolutions
Aussi doit-on à ce sujet synthétiser.
Voici donc un poème que j'ai intitulé
« la Perle Précieuse de l'Unicité »
Espérant de Dieu Son acceptation
Qu'il soit utile à ceux qui désirent Sa rétribution !
Toute personne religieusement responsable
Doit donc connaître les attributs indispensables
De Dieu, les attributs possibles et les attributs inconcevables
Pareillement pour les attributs propres aux messagers.
Car croire en l'Unicité juste pour imiter
N'épargne guère la foi des hésitations.
Certains ont à ce propos une autre opinion

ne peut nier les problèmes de sociétés musulmanes, ce n'est pas par l'amalgame et l'anathème que l'on va les résoudre. «L'islamisme» extrémiste n'est pas un islam, c'est l'anti-islam, amplifié à dessein.

Pourquoi tant de haine?

Alors qu'aucune identité n'est ni figée ni monolithique et qu'il n'y a pas d'hostilité entre unité et pluralité, entre foi et raison, pas plus qu'entre citoyenneté et religion, opposer ce qui n'est pas opposable et tenter d'imposer aux peuples le reniement de leurs valeurs est dévastateur. Pourquoi tant de haine contre l'islam et les musulmans Premièrement, à l'évidence, l'ordre mondial a fabriqué la figure d'un ennemi pour faire diversion à son ambition d'hégémonie. Il masque le fait que l'humanité soit confrontée à une fin de civilisation, à la déshumanisation, à la dé spiritualisation et à la dépolitisation. Deuxièmement, cette religion, mal représentée et méconnue, pose des questions de fond. Les idéologies de l›exclusion vouées à l›échec s›acharnent sur elle. Troisièmement, l›islamophobie est une attaque contre l›idée de Cité républicaine. Le besoin de liberté, d›égalité et de fraternité est nié. C›est la remise en cause de la démocratie. La haine prépare la tyrannie et vise à justifier les relégations. Ce terrorisme intellectuel gagne du terrain de par la complaisance d›autorités morales ou politiques censées défendre la paix et la liberté religieuse. Ce qui est en danger c›est la possibilité de rechercher ensemble le bien commun et de vivre dignement, en sécurité. Selon son interprétation et son mode d›application, la religion peut être source de bonheur autant que de malheur. Tout comme l›autre dimension de l›existence, la raison, peut être source de progrès ou de barbarie. On ne peut accepter que des peuples et des communautés soient vilipendés. La culture des Lumières et celle abrahamique ne méprisent pas l›altérité. L›Occident est mis à l›épreuve par ses minorités et par la diversité du monde. Sa compréhension des autres reste marquée par l'ethnocentrisme. Sa puissance matérielle, technoscientifique et son hyper-sécularisation lui ont fait perdre le sens de l'humilité. La relation interhumaine, le lien social et l'éthique sont sapés. Les fondements du vivre ensemble et les lois de la nature sont remis en cause. Les sociétés sont désorientées. L'alternative n'est pas dans les modèles réactionnaires et le repli. Tous les pays ont à tirer les leçons de leurs parcours ambivalents. Il leur faut bâtir une société du juste milieu, qui articule modernité et authenticité. Chacun doit repenser ses relations aux autres et à l'universel. Les sociétés humaines sont face à un enjeu existentiel et de souveraineté. Compte tenu des risques, des menaces et de l'état instable du monde, il est vital de discerner et de dialoguer pour énoncer un nouveau paradigme. Personne n'a le monopole de la vérité.

***Philosophe, professeur en relations internationales, lauréat du prix Unesco du dialogue des cultures.**

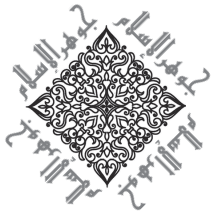

Appel à un nouveau paradigme Rien ne peut justifier tant de haine qui mène à l'abîme...

Mustapha Chérif

Nous vivons un des chapitres les plus difficiles de l'histoire de l'humanité. L'islamophobie, prolongement de l'antisémitisme, est à son paroxysme. Notre appel n'est pas une nouvelle complainte. La réalité est effrayante et dangereuse. La non-assistance à peuple soumis à un génocide, la politique du deux poids, deux mesures et la montée des extrêmes droites, sont les reflets du recul du droit et de la crise de civilisation. Rien ne peut justifier tant de haine qui mène à l'abîme: ni le terrorisme de groupuscules obscurantistes, de surcroît manipulé, ni l'archaïsme qui peut traverser des communautés islamiques, ni les dérives de jeunes des quartiers défavorisés. Durant l'ère de la civilisation islamique, qui a brillé de mille feux et a contribué à l'essor de la modernité, le vivre-ensemble fut un fait historique. Notre civilisation commune était judéo-islamo-chrétienne et gréco-arabo-romaine. Aujourd'hui, des expériences du «faire ensemble» s'en inspirent et nourrissent l'espérance. Le défi est immense. Nous sommes en train de vivre les effets du choc des ignorances, de la désinformation et de la régression de la pensée. Notre devoir d'intellectuels est de sonner l'alerte, de dénouer les noeuds et de bâtir des ponts. Le système des relations internationales est déréglé. L'humanité est malmenée. Cependant, les peuples refusent la confrontation et la destruction du monde. Ils préfèrent la symbiose, l'amitié et la solidarité. Les semences de paix existent. La banalisation violente du discours haineux à l'encontre d'autrui est funeste. Nombre d'intellectuels, de politiciens et de médias se cachent derrière le droit sacro-saint de la liberté d'expression, le droit à la critique des religions pour dénigrer et fracturer. Diabolisation, essentialisation et politique du bouc émissaire rappellent les sombres années trente. Si personne

SOMMAIRE

Appel à un nouveau paradigme : Rien ne peut justifier tant de haine qui mène à l'abîme. 3

Mustapha Chérif

JAWHARAT AL-TAWHID : La perle précieuse de l'Unicité divine 5

Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî

(Traduction par Abd-al-Wadoud Gouraud)

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 3/4 - 23ème année